



جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

السياق وأثره في التفسير
(دراسة تطبيقية في سورة القصص)

إعداد

سمر مرعي محمود حمد

إشراف

د. حسين عبد الحميد النقيب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام)، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين.

2023

السياق وأثره في التفسير
(دراسة تطبيقية في سورة القصص)

إعداد

سمر مرعي محمود حمد

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2023/05/15م، وأجيزت:

د. حسين عبد الحميد النقيب

المشرف الرئيسي

د. حمزة مصطفى ذيب

الممتحن الخارجي

د. أيمن ريان

الممتحن الداخلي

التوقيع

التوقيع

التوقيع

الاهداء

إلى روح أمي الطاهرة، إلى مربيتي ومعلمتي الأولى، إلى من ربنتي صغيراً، من علمتي الخلق القويم وزرعت في نفسي حب القرآن، إلى أبي وقdotي، إلى زوجي ورفيق دربي، إلى أولادي وفلذة كبدي، إلى إخوتي الأعماء، إلى طلاب العلم وكل من يسهر في خدمة هذا الدين ويحمل لواءه ويجاهد في الدفاع عنه.

الباحثة

سمر مرعي محمود حمد

الشكر والتقدير

أشكر الله أن علّمني ما ينفعني ووفقني لهذه الدراسة، أشكر كل من دعمني في هذه المسيرة التعليمية، وأخص بالذكر زوجي على كل ما قدمه لي من دعم ومساعدة وتعاون في توفير أجواء الدراسة، أشكر كل من أرشدني ونصحني، وقدم لي مساعدة في إعداد هذه الدراسة، وأخص بالذكر الدكتور الفاضل المشرف على أطروحتي (د. حسين عبد الحميد النقيب) على ما قدمه لي من معلومات وتوجيه وإرشاد، والشكر موصول للدكتور (حمزة مصطفى ذيب) والدكتور (أيمن ريان).

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

السياق وأثره في التفسير دراسة تطبيقية في سورة القصص

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: سمر مرعي محمود حمد

التوقيع:

التاريخ: 2023/05/15

فهرس المحتويات

| | |
|----|--|
| ج | الاهداء..... |
| د | الشكر والتقدير |
| هـ | الإقرار |
| و | فهرس المحتويات..... |
| ح | الملخص..... |
| 1 | مقدمة..... |
| 5 | الفصل الأول: السياق وأثره في التفسير |
| 5 | المبحث الأول: تعريف السياق |
| 5 | المطلب الأول: المعنى اللغوي للسياق |
| 6 | المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للسياق..... |
| 7 | المطلب الثالث: دلالة السياق في التفسير |
| 8 | المبحث الثاني: مكونات السياق |
| 8 | المطلب الأول: السياق..... |
| 9 | المطلب الثاني: اللاحق..... |
| 10 | المطلب الثالث: أفاظ الكلام |
| 12 | المبحث الثالث: أنواع السياق |
| 12 | المطلب الأول: سياق الآية..... |
| 13 | المطلب الثاني: سياق النص |
| 14 | المطلب الثالث: سياق السورة..... |
| 15 | المطلب الرابع: سياق القرآن كله..... |
| 18 | المبحث الرابع: أهمية السياق |
| 18 | المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن |
| 19 | المطلب الثاني: بيان الإعجاز القرآني..... |
| 20 | المطلب الثالث: الفهم الصحيح للآيات وإزالة الأشكال عنها |
| 23 | المبحث الخامس: اتصال السياق وأدلته..... |
| 27 | المبحث السادس: كيفية الكشف عن السياق والوصول إليه..... |
| 29 | المبحث السابع: صلة السياق بأسباب النزول..... |
| 32 | المبحث الثامن: صلة السياق بعلم المناسبات..... |
| 36 | المبحث التاسع: صلة السياق بالمتشابه اللفظي..... |

| | |
|-----|--|
| 36 | المطلب الأول: المقصود بالمتشابه اللفظي..... |
| 37 | المطلب الثاني: فائدة علم المتشابه اللفظي في القرآن..... |
| 38 | المطلب الثالث: الصلة بين السياق وعلم المتشابه..... |
| 41 | المبحث العاشر: أثر السياق في الألفاظ والمعاني..... |
| 41 | المطلب الأول: أثر السياق في الألفاظ والتراكيب..... |
| 45 | المطلب الثاني: أثر السياق في الترجيح بين المعاني..... |
| 48 | الفصل الثاني: أثر السياق من خلال سورة القصص (الدارسة التطبيقية)..... |
| 48 | المبحث الأول: تعريف عام بسورة القصص..... |
| 54 | المبحث الثاني: أثر السياق في أسباب النزول من خلال سورة القصص..... |
| 54 | المطلب الأول: سياق نزول السورة إجمالاً..... |
| 55 | المطلب الثاني: آيات أورد المفسرون لها أسباب نزول..... |
| 57 | المبحث الثالث: أثر السياق في توجيه المناسبة من خلال سورة القصص..... |
| 57 | المطلب الأول: المناسبة في سورة القصص..... |
| 64 | المطلب الثاني: مناسبة سورة القصص لما قبلها (النمل)..... |
| 66 | المطلب الثالث: مناسبة سورة القصص لما بعدها (العنكبوت)..... |
| 71 | المبحث الرابع: أثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي من خلال سورة القصص..... |
| 71 | المطلب الأول: التكرار في القرآن والحكمة منه..... |
| 74 | المطلب الثالث: المتشابه اللفظي الوارد في آيات سورة القصص مع غيرها من الآيات..... |
| 85 | المبحث الخامس: أثر السياق في مناسبة الفاصلة لما قبلها من الآية من خلال سورة القصص..... |
| 96 | المبحث السادس: أثر السياق في الألفاظ والمعاني من خلال سورة القصص..... |
| 96 | المطلب الأول: أثر السياق في اختيار الألفاظ في سورة القصص:..... |
| 103 | المطلب الثاني: الترجيح بين المعاني..... |
| 107 | الخاتمة..... |
| 109 | قائمة المصادر والمراجع..... |
| B | Abstract..... |

السياق وأثره في التفسير

دراسة تطبيقية في سورة القصص

إعداد

سمر مرعي محمود حمد

إشراف

د. حسين عبد الحميد النقيب

الملخص

تسلط هذه الدراسة الضوء على أهمية السياق في تفسير القرآن، وكان التطبيق على سورة القصص، وهدفت الدراسة إلى إبراز دور السياق في الوصول إلى المعنى الصحيح للآيات، وقد تمّ تقسيم هذه الدراسة إلى دراسة نظرية تمّ الحديث فيها عن تعريف السياق ومكوناته، أنواعه، أهميته، أدلة اتصاله وانقطاعه، كيفية الوصول إليه، صلته بأسباب النزول وعلم المناسبة، المتشابه اللفظي، وأثره في الألفاظ والتراكيب القرآنية، أما الدراسة التطبيقية: فقد خصصت هذه الدراسة سورة القصص نموذجاً، واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي لسورة القصص لإبراز أثر السياق القرآني في تفسيرها، وبيان علاقته في أسباب النزول وأثره في توجيه المتشابه اللفظي، وذلك بعرض بعض الآيات المتشابهة في السورة مع غيرها من السور لإبراز دور المناسبة في توجيه هذا المتشابه، ودوره في توجيه الفاصلة القرآنية من خلال عرض بعض الفواصل في آيات السورة وربطها بالسياق، وإبراز دور السياق في اختيار الألفاظ والترجيح بين المعاني بعرض بعض الأمثلة التي توضح ذلك.

وقد خلصت الدراسة إلى إن للسياق علاقة وطيدة بعلم القرآن الأخرى وله أثر واضح في توجيهها، وأن كل حلقة من الحلقات في سورة القصص وكل قصة وضعت في مكانها المناسب الذي يحقق مقصود تلك السورة بأسلوب عرضٍ يناسب سياقها، وأن ما يذكر متفرقاً، لا اختلاف فيه، ومجموع ما يرد يعطي المعنى العام

للقصّة وقد تبيّن أنّه لا تكرار محضٍ في القصص، ففي كل خطابٍ فائدة وحكمة تعرض بأسلوبٍ مختلف يناسب السياق.

كلمات مفتاحية: السياق، سورة القصص، الفاصلة القرآنية، المناسبات، المتشابه اللفظي.

مقدمة

الحمد لله حمدا طيبا مباركاً، الذي أنعم علينا بنعمة العلم، وأكرمنا وهدانا لخدمة كتابه العظيم، وأفضل صلاة على نبيه محمد وأكرم تسليم، أما بعد:

فإن الإبحار في كتاب الله من أجمل الرحلات التي يمكن أن يجني منها الإنسان المتعطش للعلم أجمل الغنائم وأثمنها، فهو يعود بتلك اللآلئ الثمينة التي تضيء له طريق الحياة ليسير في الاتجاه الصحيح نحو الآخرة، تفتح له الافاق، وترفع مكانته بعد أن يعود من تلك الرحلة الممتعة التي غدّى بها روحه وعقله وجسده، فعادت الحياة إلى جسده وانتعشت الروح، وأبصر العقل والقلب، فلا حياة بلا علم، فالله أكرم عباده بالعلم، وقربهم إليه بالعلم، ورفع درجاتهم به، يقول عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة:11]، ولمّا كان علم التفسير من أشرف العلوم، ولطالما أحببت هذا العلم؛ فقد رأيت أن تُخصّص هذه الدراسة في أثر السياق في تفسير القرآن، وجعلت الدراسة في فصلين : الفصل الأول دراسة نظرية، والفصل الثاني دراسة تطبيقية في سورة القصص.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال الأمور التالية:

- إنها تتعلق بكتاب الله وخدمته من خلال الكشف عن درره ونفائسه.
- إنها تتعلق بتوجيه المسلم الى التفسير الصحيح من خلال الترجيح بين الروايات بناء على السياق.
- إنها دراسة تطبيقية عملية على سورة القصص، نقف فيها على المعنى القرآني الصحيح من خلال السياق للسورة.

أهداف الدراسة وأسباب اختياري لها:

تهدف الدراسة إلى:

- إبراز جمال القرآن في دقة اختيار ألفاظه وتراكيبه.
- إبراز أهمية السياق في اتحاد عناصر وأجزاء ومقاطع السورة الواحدة، وإظهار مدى الإعجاز والفصاحة والبلاغة القرآنية من خلال ذلك.
- ترجيح المعنى المراد من اللفظة القرآنية متعددة الدلالة بناء على السياق.
- بيان أثر أسباب النزول بناء على أغراض الآيات ومقاصدها.
- إبراز إعجاز القرآن وبلاغته من خلال مناسبة الفاصلة لسياق الآية.

مشكلة الدراسة:

تكثر الاختلافات في تفسير الآيات بسبب التوجيهات الضعيفة والاسرائيليات، ووجود المتشابه اللفظي وغيرها من الأمور، فكان لابد من العودة الى السياق لما له من أثر في توجيه هذه التفسيرات، والابتعاد عن التوجيهات الضعيفة، والكشف عن المعاني الحقيقية للألفاظ والآيات، وقد كانت هناك جهود مباركة للعلماء في دراسة هذا الموضوع؛ إلا أنه لم تكن هناك دراسة متخصصة في سورة القصص، وقد خُصِّصت هذه الدراسة في الجانب التطبيقي لهذه السورة، وتظهر مشكلة الدراسة من خلال السؤال الرئيس الآتي:

ما مدى تأثير السياق في تفسير سورة القصص؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية وهي كما يلي:

- 1- ما هو أثر السياق في الترجيح بين المعاني في سورة القصص؟
- 2- كيف كان للسياق أثر في أسباب النزول في سورة القصص؟
- 3- ما هو أثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي في سورة القصص؟
- 4- ما هو أثر السياق في مناسبة الفاصلة لما قبلها من الآية في سورة القصص؟

5- ما هو أثر السياق في اختيار الألفاظ والتراكيب في سورة القصص؟

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة المنهج التحليلي لسورة القصص لإبراز أثر السياق القرآني في تفسيرها، وبيان أثر ذلك في الترجيح بين الآراء وأثره في توجيه المتشابه اللفظي.

الدراسات السابقة:

1- "السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير"¹، تحدثت الرسالة

عن السياق القرآني من خلال تطبيق ذلك على تفسير ابن كثير، فقد قُسمت الدراسة الى مقدمة وتمهيد

تحدث فيه الباحث عن ابن كثير وتعريف بكتابه تفسير القرآن العظيم، وإلى بابين، الباب الأول: اشتملت

الدراسة النظرية فيما يتعلق بالسياق ومعناه وأثره في التفسير.

والباب الثاني: كان دراسة تطبيقية على تفسير ابن كثير، ثم ذكر في الخاتمة أهم النتائج منها: أن

دلالة السياق تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن، وهي معتبرة شرعاً فقد استخدمها الرسول صلى الله عليه

وسلم ومن بعده الصحابة، وسار على ذلك العلماء؛ لما لها من أهمية، وأن إهمالها يؤدي الى الخطأ

في التفسير، وبين أن الإمام ابن كثير اتخذ السياق أصلاً من أصول التفسير، وبين ذلك من خلال

التفسير التطبيقي على تفسيره.

2- "دلالة السياق في النص القرآني"²، بينت الدراسة أهمية السياق في بيان المعنى الدقيق لكل لفظ، فقد

أعطت اهتماماً بظرف النص وبيئته وواقعه، وقام الباحث فيها بدراسة العلاقات الدلالية في الافصاح

والكشف عن المعنى الحقيقي للألفاظ، وقد خصصت الدراسة فصلاً للدراسات القرآنية الحديثة، وبينت

كيفية الكشف عن مفاهيم النصوص من خلال علاقة ذلك بوصفها الدلالي وأثر السياق في ذلك.

¹ المطيري، عبد الرحمن عبدالله سرور جرمان، "السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير"، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى -السعودية، 1429هـ-2008م.

² خضير، علي حميد، "دلالة السياق في النص القرآني"، رسالة ماجستير -كلية الآداب -الأكاديمية العربية في الدنمارك 1435هـ-2014م

3- "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير"¹، قسمت

هذه الدراسة الى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ذكر الباحث في التمهيد ترجمة موجزة للطبري وتعريفياً بكتابه جامع البيان، وعرضاً موجزاً لدلالة النص عند الاصوليين، وكان الباب الأول عن دلالة السياق القرآني وطريقة تناول ابن جرير له، أما الباب الثاني فكان عن أثر السياق في تفسير ابن جرير.

4- "دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى دراسة نظرية تطبيقية"²، اشتملت

هذه الدراسة على جانبين، جانب نظري جعله الباحث في فصلين، الفصل الأول، فكان عن دلالة السياق، وأما الفصل الثاني فكان في المتشابه اللفظي في القرآن، وأما الجانب الثاني فكانت الدراسة التطبيقية في قصة موسى عليه السلام في القرآن، وفي الخاتمة كانت أهم النتائج ومنها: إن السياق طريق سليم في توجيه المتشابه، فهو يبعد المفسر عن التوجيهات الضعيفة ويساعد في الرد على الطاعنين.

ما يميز رسالتي هذه عن غيرها: أنها امتازت عن غيرها في الجانب التطبيقي في سورة القصص تحديداً، فمضمون بحثي دراسة تطبيقية على سورة القصص لإبراز أثر السياق في التفسير.

¹ القاسم، عبد الحكيم بن عبدالله، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير"، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، 1421هـ.

² الشتوي، فهد بن شتوي بن عبد المعين، "دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى دراسة نظرية تطبيقية"، رسالة ماجستير جامعة ام القرى، 1426هـ-2005.

الفصل الأول

السياق وأثره في التفسير

المبحث الأول: تعريف السياق

وفيه ثلاثة مطالب، وهي: المطلب الأول: المعنى اللغوي للسياق، والمطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للسياق، والمطلب الثالث: دلالة السياق في التفسير.

المطلب الأول: المعنى اللغوي للسياق

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة السجدة: 27]، ومعنى نسوق: أي أن الله يرسل من السماء أو مما تحمله الأنهار ومما ينحدر من المرتفعات من الماء إلى الأراضي حيث تأخذ احتياجها من الماء¹، ويقول سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [سورة الزمر: 73]. أي أن الملائكة تسيّر بهم إلى الجنة، وتسوقهم جماعات، منتقلة بهم في مراحل حتى يصلوا إلى نعيم الجنة²، وقد وردت مادة "سَوَّقَ" بعدة معانٍ في معاجم اللغة على النحو الآتي:

"والسُّوقُ: مَعْرُوفَةٌ، تَوُنَّتْ وَتُدَكَّرُ، وَأَصْلُ اسْتِقَاقِهَا مِنْ سَوَّقِ النَّاسِ إِلَيْهَا بِضَائِعِهِمْ"³.

"وَلَدَّتْ فَلَانَةٌ ثَلَاثَةٌ بَنِينَ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، أَيْ بَعْضُهُمْ عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ، لَيْسَتْ بَيْنَهُمْ جَارِيَةٌ"⁴.

¹ أنظر، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، ت: 774هـ، "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م، ج6، ص372.

² أنظر، الخطيب، عبد الكريم يونس، ت: بعد 1390هـ، "التفسير القرآني للقرآن"، دار الفكر العربي - القاهرة، ج12، ص1198.

³ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، ت: 321هـ، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 1، 1987م، باب (سقي)، ج2، ص853.

⁴ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، ت: 393هـ، "الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية" تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 4، مادة (سوق)، 1407هـ - 1987م، ج4، ص1499.

"يقال سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا. وَالسَّيِّئَةُ: ما اسْتَبَقَ من الدواب، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته. وَالسُّوقُ مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوقٌ، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها، ويقال امرأة سَوْقَاءٌ، ورجل أسوق، إذا كان عظيم الساق، والمصدر السُّوقُ"¹، ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر، وسأقت الريح السحاب.، وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و"إليك يساق الحديث" وهذا الكلام مساقاة إلى كذا"²، ومنها سياق الكلام أي سرده، فيكون فيه التتابع والتسلسل³.

فالسباق في اللغة: التتابع بين الأشياء للوصول إلى غاية معينة، فاللفظة تعيد معنى الارتباط والتسلسل والانتظام، وحاصل هذه المعاني هو الانتظام والتتابع والاتصال والتسلسل والسير في سلك واحد.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي للسياق

لم ينص العلماء المتقدمون على تعريف السياق اصطلاحاً، وإنما تكلموا في أهميته وبعض آثاره كالترجيح وغيره، ومنهم من أشار إليه في أثناء حديثه عن التفسير كما فعل ابن حيان الأندلسي، فقد بين أن السياق يكشف عن مدلولات الألفاظ القرآنية ويبين أحكامها ومعانيها في حال التركيب⁴، ومنهم من بين أنه يرشد إلى مراد المتكلم، ويعين على تحديد المحتمل، وبيان المجمل، والترجيح بين المعاني المحتملة⁵، فالمفسرون اعتمدوا على قرينة السياق في بيان المعاني للآيات الكريمة والترجيح بينها، وذلك في بيانهم للمناسبة بين الآيات، وأقرب تعريفات المُحدِّثين للسياق ما قاله المطيري أن السياق: "تتابع المفردات والجمل والتراكيب

¹ ابن فارس، أحمد، ت: 395هـ، "معجم مقاييس اللغة" تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، باب (سُوق)، ج3، ص117.

² الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، ت: 538هـ، "اساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1419هـ-1998م، ج1، ص484.

³ أنظر، الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، ت: 1205هـ، "تاج العروس"، دار الهداية، مادة (سوق)، ج25، ص475.

⁴ أنظر، أبو حيان، محمد بن يوسف، ت: 745هـ، "البحر المحيط في التفسير"، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420هـ، ج1، ص26.

⁵ أنظر، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت: 751هـ، "بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج4، ص9.

المترابطة لأداء المعنى"¹.ومن ذلك نرى أن مفهوم السياق لا يخرج في القديم والحديث عن كونه نظر في دلالات النص، ودلالات النصوص السابقة واللاحقة له، ومن هنا يتبين لنا العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، فالسياق هو التابع والاتصال، وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.

المطلب الثالث: دلالة السياق في التفسير

الدلالة في اللغة: مصدر من الفعل (دل)، ولهذه المادة معانٍ متعددة منها: الهداية والإرشاد، فقد جاء في التهذيب: "دل يدل إذا هدى"²، وفي الاصطلاح "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"³. والدلالة في التفسير بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما لا يخرجها عن السابق واللاحق⁴.

¹ عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري "السياق القرآني وأثره في التفسير"، دراسة نظرية وتطبيقية على تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، 1429-2008، ص71.

² أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، ت 370هـ، "تهذيب اللغة"، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م، ج14، ص48.

³ الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، ت 816هـ، "التعريفات"، دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان، ط1، 1403هـ-1983م، ص104.

⁴ القاسم، عبد الحكيم بن عبدالله، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير"، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، رسالة ماجستير، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية، 1999م-1420هـ، ص62.

المبحث الثاني: مكونات السياق

مما سبق يتبين أن للسياق مكونات أساسية لا بد من مراعاتها للوصول إلى الدلالات والمعاني الصحيحة للآيات، وهي: السياق، واللاحق، وألفاظ الكلام.¹

المطلب الأول: السياق

السياق في اللغة يعني تقديم شيء على آخر وترابطهما، سبق: السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم.² أما في الاصطلاح فلم أقف على تعريف اصطلاحي للعلماء المتقدمين وإنما تكلموا عن أهميته في التفسير وأشاروا إلى أنه من عناصر السياق، كما ظهر ذلك عند البقاعي، الهروي، الأوسي وغيرهم³، وأقرب تعريفات المحدثين ما قاله الشهراني: "ما سبق من الكلام، وتوقف فهم معنى ما بعده عليه⁴، وهو من الأمور المهمة لمعرفة معنى الكلام وإزالة الإشكال؛ لما يشتمل عليه من عبارات وقرائن تؤدي إلى المعنى الصحيح، ومن أمثلته ما بينه ابن كثير في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَأَى اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ط مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة المجادلة: 7]، أن المقصود بالمعنى هنا معية علم الله سبحانه فعلمه محيط بجميع خلقه والدليل على ذلك أن الآية ابتدأت بالعلم بقوله تعالى:

¹ أنظر، باحويرث، تهاني بنت سالم، "أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني" دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، رسالة ماجستير، 1428هـ-2007م، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ص71.

² ابن فارس: "معجم مقاييس اللغة"، مادة (سبق)، ج3، ص129.

³ أنظر، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، ت: 885هـ، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404هـ، 1984م، ج22، ص76. الهروي، علي بن سلطان محمد، ت: 1014هـ، "مراجعة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ، 2002م، ج3، ص1035. الأوسي، شهاب الدين، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، ت: 1270هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ، ج4، ص250.

⁴ أنظر، الشهراني، سعد بن محمد، "السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة"، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، ط: 1، 1436هـ، ص25.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^١ فعلمه محيطٌ بهم وهو على عرشه، فالاستدلال بسباق

الآية دلٌّ على أن المعية معية العلم لا معية الذات¹

المطلب الثاني: اللحاق

اللاحق في اللغة من لحق، ويدل على إدراك الشيء لغيره، والوصول إليه، والتلاحق هو التتابع كما في قولنا تلاحقت الأخبار أي تتابعت². ومن هذا يتبين أن معنى اللحاق هو إدراك شيء لشيء، وتجاوزه إلى ما بعده، ومنه الكلام الذي يبين معنى ما قبله، ومن الأمثلة عليه ما روي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة المائدة: 116]، أنه يكون يوم القيامة، قال: ألا ترى أنه يقول: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة المائدة: 119]³، فقد لحقت الآية المسؤول عنها؛ ففسرت وقت الحدث بأنه يكون يوم القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [سورة الرحمن: 6]، وقد بين السيوطي: أن النجم يطلق على الكوكب، وعلى ما لا ساق له من النبات، ثم بيّن أن المعنى المقصود في الآية هو النبات الذي لا ساق له⁴؛ فقد أبان لفظ الشجر اللاحق أن النجم هو النبات الذي لا ساق له، فأعان اللحاق على تعيين المحتمل.

¹ أنظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 41.

² أنظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (لَحَقَ)، ج 5، ص 238، الزبيدي، تاج العروس، مادة (لحق) ج 26، ص 353.

³ الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 235.

⁴ أنظر، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: 911هـ. "معتزك الأقران في إعجاز القرآن"، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط 1،

1408هـ-1988م، ج 1، ص 285.

المطلب الثالث: ألفاظ الكلام

إن التفسير والنظر فيه يكون بالتمعن في الألفاظ والتراكيب، فيُرجع إلى اللّغة لمعرفة المعنى الذي وضع للألفاظ المفردة، ويتم النظر في الهيئات والصيغ للمفردات الدالة على المعنى (علم التصريف) ويكون أيضا برد الفروع إلى الأصول (علم الاشتقاق)، أما التراكيب فإن فيها اعتبارات أربعة:

1- ما دل عليه المركب حسب وضعه (علم النحو).

2- كيفية التركيب الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال.

3- ما يتعلق بعلم البيان (الحقيقة، المجاز، الاستعارة.....).

4- ما يتعلق بعلم البديع (الفصاحة اللفظية والمعنوية).

فلا بد للمفسر أن يكون على معرفة باللغة العربية، ودلالة الألفاظ على معانيها حتى يعرف ما يدل على مراد الله من الألفاظ في الآيات¹، وألفاظ الكلام تتكون من ثلاثة أمور، وهي: المفردات، وهيئة الكلمة، والنظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقتها ببعض، وهناك أيضًا من ألفاظ الكلام ما يسمى بقرينة الحال، يقول ابن حجر: "وعرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق"²، وقرينة الحال: هي الظروف التي تحيط بالكلام، وتصوغ الكلام ودلالاته بصفة خاصة³، يقول ابن تيمية: "فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه. وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية"⁴. فالحضور والمشاهدة من أهم الظروف المؤثرة في المعنى؛ ومثال ذلك أنه عندما أشكل لفظ (لا جناح) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّيْفَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ

¹ أنظر، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، ت: 794هـ، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: 1، 1376هـ-1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج2، ص173-174. وابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ت 728هـ: "مجموع الفتاوى"، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ج7، ص116.

² ابن حجر، أحمد بن علي، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، ج9، ص97.

³ للاستزادة، أنظر، الطلحي، ردة الله، "دلالة السياق"، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423هـ، ص50-51.

⁴ ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ج6، ص14.

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ [سورة البقرة:158]، ففهم عروة أنه لا جناح على أحد أن لا يطوف بالصفاء والمروة، فلما ذكر ذلك لعائشة رضي الله عنها؛ أنكرت عليه ذلك وبينت أن الآية نزلت في الأنصار، تخرجوا من الطواف بين الصفاء والمروة بعد أن أسلموا، وقد كانوا قبل الإسلام يهلون لمناة التي كانوا يعبدونها عند المشلل¹، فلما سألو النبي صلى الله عليه وسلم نزلت الآية ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، وبينت عائشة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم سن الطواف وليس لأحد أن يتركه²، كما قالت في رواية أخرى: " لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُ، لَكَانَ: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا"³ ومن هنا يظهر أيضاً أهمية السياق في بيان المعنى وترجيحه.

¹ (جبل يهبط منه إلى قديد (طريق هجرة النبي صلى الله عليه وسلم) من ناحية البحر) على سبعة أميال من المدينة. انظر، القرطبي، تفسير القرطبي، ج2، ص178.

² أنظر الحديث كاملاً، البخاري، محمد بن اسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب الحج، باب وجوب الصفاء والمروة وجعل من شعائر الله، حديث: 1643.

³ مسلم، ابن الحجاج "صحيح مسلم"، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفاء والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، حديث1277.

المبحث الثالث: أنواع السياق

قد يقتصر السياق على آية واحدة، وقد يشمل مجموعة من الآيات تدور حول غرض واحد، وقد يكون لهذا الغرض امتداد في السورة كلها، وقد يطلق على القرآن الكريم بأجمعه؛ باعتبار مقاصده العامة، وعلى هذا فإن أنواع السياق هي: سياق الآية، سياق النص أو المقطع، سياق السورة، سياق القرآن¹.

المطلب الأول: سياق الآية

في هذا النوع من أنواع السياق ننظر في غرض الآية، فكل آية في القرآن تحمل غرضاً مستقلاً تشترك فيه مع سابقتها أو لاحقتها مع اختصاصها بجانب منه، وهذا يسهم في إزالة الإشكال الذي يقع في فهم معنى لفظ في الآية، ويدلنا على المعنى الصحيح، ومثال ذلك لفظ الإحصان الذي يطلق على الإسلام والعفاف، والحرية والتزويج، ويتحدد المعنى المراد منها بالسياق، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَلْحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النساء: 25]؛ المراد من الإحصان هنا التزويج لدلالة السياق عليه، فقد قال تعالى قبلها: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَنْ فَتَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة النساء: 25]، لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات². ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَصَعَهَا لِلْأَنْعَامِ﴾ [سورة الرحمن: 10]، فقد اختلف أهل اللغة والتفسير في معنى الأنعام، فمنهم من فسر الأنعام ببني

¹ أنظر، ابو صفية، عبد الوهاب، "دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن"، دار عمار للنشر - عمان، ط: 1، 1409هـ، ص 88.

² أنظر، ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ج 2، ص 361-362. والشنقيطي، حمد الأمين بن محمد المختار الجكني، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، دار عطاءات العلم الرياض - دار ابن حزم - بيروت، ط 5، 1441هـ-2019م، الأولى لدار ابن حزم، ج 1، ص 375.

آدم، ومنهم من قال: إن المقصود هو الحيوان كله، ومنهم من قال الجن والإنس¹، لكن عند النظر في سياق الآية يترجح أن المقصود بالأنام هو الناس، لأن سياق الآية في مقام الامتتان والاعتناء بالإنسان².

المطلب الثاني: سياق النص

يكون سياق النص جزءاً من سياق السورة، حيث يكون له موضوع واحد يجمع بين عدة آيات في السورة، وهذا الموضوع يكون متناسقاً مع وحدة السورة، فالسورة تنجزاً إلى عدة مقاطع، كل مقطع يجمعه موضوع مستقل يتناسب مع الموضوع العام للسورة، وغالباً ما يكون هذا النوع في القصص القرآني، وبعض التشريعات، وهذا ما عبر عنه محمد دراز عندما قال: لماذا نقول: "إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، بين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظامان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائح تحيط بهما عن كثب، كما يشترك العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله سرى في جملة السورة باتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية"³، ومثال ذلك: (سورة الكهف)، فقد قسمت إلى مقاطع كان العنصر الغالب فيها هو القصص (قصة أصحاب الكهف، وقصة الجنتين، والإشارة إلى قصة آدم وإبليس، وقصة موسى والعبد الصالح، وقصة ذي القرنين)، وجميع هذه القصص كانت تدور حول تصحيح العقيدة، ومنهج الفكر، وتصحيح القيم، وهو المحور الأساس للسورة، فكانت هذه المقاطع منسجمة ومتناسقة مع الموضوع العام للسورة⁴، وهو ما افتتحت به السورة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ

عَوَجًا ﴿١﴾ [سورة الكهف: 1].

¹ أنظر، أبو حيان، "البحر المحيط في التفسير"، ج10، ص57.

² أنظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، ت: 1393هـ، "التحرير والتنوير" «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ، ج27، ص241.

³ دراز، محمد بن عبدالله، ت: 1377هـ، "النبأ العظيم"، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 1426هـ-2005م، ج1، ص188.

⁴ أنظر، قطب، سيد، ت: 1385هـ، "في ظلال القرآن"، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط17، 1412هـ، ج4، ص2257.

المطلب الثالث: سياق السورة.

إن لكل سورة في القرآن بناء متكاملًا محكمًا، وحدة متكاملة متناسقة لها غرض واحد يجمعها، وهو ما يسمى بوحدة السورة أو سياقها، وهو ما يرشد إلى مضمون السورة كلها، ابتداء من اسم السورة الذي يشير إلى مضمونها، وارتباط موضوعات آياتها بسياقها، وكيف تنتهي السورة، كل ذلك بإبداع واتقان وتسلسل؛ يظهر الإعجاز الالهي في الكتاب العزيز، وهذا ما أشار إليه البقاعي، أن اسم كل سورة فيه إشارة لموضوعها¹، ومثال ذلك: سورة الفاتحة التي من أسمائها أم الكتاب، المثاني، الشافية، الكافية، الحمد، الشكر، الدعاء، الصلاة، وكلها أسماء تدل على مضمون السورة، فهي الفاتحة يفتح بها كل أمر، وهي شافية لكل داء كافية من الهموم، وفيها رقية لكل مسلم من كل سوء، وفيها إثبات للحمد والشكر تعظيمًا للمنع². وقد ذكر البقاعي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّئَلَّا تُؤْكِرُوا مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِبِ﴾ [سورة النحل:66]، أن المراد من الأنعام هنا الإناث لأنه نكر المسقي وهو اللبن، فتعينت إرادة الإناث لذلك³.

وممن عني بهذا المجال واشتهر في تناوله محمد دراز، في كتابه النبأ العظيم، وسيد قطب في ظلال القرآن، ومن ذلك أنموذج من تفسير سيد قطب لسورة الشورى، فقد أبدع في استخراج أسرار السورة، وبيان جمال التناسق والابداع في ربط موضوعاتها، فبين أن محور السورة هو (حقيقة الوحي والرسالة)، ثم قسم موضوعات السورة إلى قسمين: القسم الأول: الآيات (1-24) تحدثت عن الوحي والرسالة وجوانبها المتعددة، والقسم الثاني: الآيات (25-53) تحدثت عن طبيعة الوحي وطريقته، ثم أشار إلى أن بين القسمين اتصالاً ظاهراً، فهما طريقان إلى القلب البشري، يصلانه بالوحي والإيمان، ثم بيّن أن السورة انتهت بالحديث عن الهداية

¹ أنظر، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، ت: 885هـ، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج1، ص18.

² أنظر، المصدر السابق، ج1، ص19

³ المصدر السابق، ج11، ص193.

إلى طريق الله تعالى¹، فكان هذا الترابط الجميل في السورة بسياقها وموضوعها، وكان للسياق أثره في إبراز المعاني وإزالة الاشكالات وتوضيح الدلالات، وهذا من مظاهر الإعجاز القرآني.

المطلب الرابع: سياق القرآن كله

السياق القرآني يقصد منه النظر إلى القرآن كوحدة موضوعية واحدة، والقرآن له أغراضه ومقاصده وأساليبه للخروج بدلالات سياقية صحيحة، وللوصول إلى التفسير الصحيح للقرآن يجب الوقوف على محاور على النحو التالي:

أولاً: المقاصد الأساسية للقرآن:

يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: 24]، قال الشاطبي: "فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد"²، وقد أشار ابن عاشور إلى أن للقرآن مقاصد لا بد للمفسر من معرفتها، وذكر هذه المقاصد مجتمعة في ثمانية أمور³ نذكرها مجملتها: الأول: إصلاح الاعتقاد، الثاني: تهذيب الأخلاق، الثالث: بيان التشريع، الرابع: سياسة الأمة وصلاحها وحفظ نظامها، الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصلاح أحوالهم، السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم لتلقي الشريعة ونشرها، السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول.

ولا بد للمفسر من النظر في هذه المقاصد وأخذها بعين الاعتبار في تفسيره، وقد أشار ابن تيمية إلى أهمية هذا الأمر بقوله: "فمن تدبر القرآن.... وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج"⁴.

¹ أنظر، قطب، "في ظلال القرآن" ج5، ص3137-3172.

² الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، ت: 790هـ، "الموافقات"، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ-1997م، ج4، ص209.

³ ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج1، ص39-42.

⁴ ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ج15، ص94.

ثانيا: المعاني الكلية (كليات الألفاظ)

ينبغي أن تفسر الأمور المذكورة في القرآن بعرف القرآن وبالمعهود منها، فللقرآن عرف خاص ومعان معهودة، لا يجوز تفسيره بغيرها¹، فعند الاختلاف في معنى لفظ ينظر إلى الاستعمال الغالب له في القرآن بعد استقراء القرآن، فإذا بان أنه مطرد كان مرجحاً²، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة المجادلة: 21]، اختلف العلماء في تفسير الغلبة، فمنهم من فسرها بأنها الغلبة بالحجة والبيان، ومنهم من فسرها بالسيف والسنان، وهذا ما رجحه الشنقيطي لأن الغالب في القرآن استعمال الغلبة بالسيف والسنان³، فعند استقراء الآيات في القرآن نجدتها وردت بهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّجِيُّ حَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنفال: 65]، وفي قوله تعالى: ﴿عُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢٠﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَعْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الروم: 2-3]، وغيرها من الآيات التي تحمل هذا المعنى.

ثالثا: الأساليب المطردة

يقصد بالأساليب المطردة: الأساليب التي يطرد استعمالها في القرآن، يقول ابن عاشور: "وللقرآن أسلوب خاص"⁴، فما يستعمله القرآن من الأساليب ويغلب استعماله في القرآن كله يسمى بعبادات القرآن، ويجب على المفسر أن يتعرف على هذه العادات من نظم القرآن وكلمه، باستقراء هذه الأساليب المطردة⁵. ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوَقَّهِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

¹ أنظر، ابن القيم، "بدائع الفوائد"، ج3، ص27.

² أنظر، الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، ج3، ص478.

³ المصدر السابق، ج8، ص15.

⁴ ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج1، ص64.

⁵ أنظر، المرجع السابق، ج1، ص124.

وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٦﴾ [سورة البقرة: 212]، المقصود من الذين اتقوا المؤمنون الذين سخر منهم الكفار لأنهم كانوا متقين، وكان مقتضى الظاهر أن يقال وهم فوقهم، لكن عدل عن الإضمار إلى اسم ظاهر حتى لا يظن الكافرون بأن الضمير عائد إليهم، فعدل لذلك عن الإضمار إلى الإظهار، لكنه لم يكن بالاسم الذي سبق (الذين ءامنوا) للتبنيه على صفة التقوى وكونها سبباً في هذه الفوقية، وهذا من عادة القرآن وأسلوبه في انتهاز فرص الهدى والإرشاد؛ ليظهر فضل المؤمنين على الذين كفروا، وينبه المؤمنين على وجوب التقوى؛ لتكون سبب تفوقهم على الذين كفروا يوم القيامة، وأما المؤمنون غير المتقين فليس من غرض القرآن أن يعبأ بذكر حالهم ليكونوا دوماً بين شدة الخوف والرجاء¹. وقد أشار الزركشي إلى هذه الأساليب²، وذكر أمثلة على ذلك، منها أن لفظ الرياح عندما يأتي جمعاً يدل على الرحمة كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الروم: 48]، وإذا جاء بصيغة المفرد دل على العذاب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١١﴾﴾ [سورة القمر: 19].

¹ أنظر، المرجع السابق، ج2، ص293.

² أنظر، الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج4، ص10.

المبحث الرابع: أهمية السياق

للسياق أهمية بالغة تنبئ إليها العلماء قديماً وحديثاً، فهو قاعدة أساسية في تفسير القرآن بشكل صحيح، وإزالة الإشكال، وتحديد المعنى الصحيح، وضبط الدلالات، والترجيح بين الاختلافات، وكان ذلك جلياً فيما تقدم من أمثلة في المباحث السابقة، وتكمن أهمية السياق القرآني في عدة أمور منها:

المطلب الأول: منع تعدد المعاني وتعيين المعنى المراد من خلال السياق

الاعتماد على السياق القرآني هو من تفسير للقرآن بالقرآن؛ فهو يبين المعنى، ويفسر الآية بما تضمنته من الدلائل والقرائن، وبحسب مناسبتها لما قبلها وبعدها، من خلال تتابع المفردات والتراكيب القرآنية المترابطة، وهو أعلى مراتب التفسير وأفضلها، يقول ابن القيم: "وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير"¹، فإذا كان في الكلام لبس وخفاء فإنه يأتي ما يزيله ويفسره، إما بعده مباشرة أو في موضع آخر يبينه، ومن الأمثلة على ذلك:

في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّلَافَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [سورة البقرة:55]، الصاعقة تأتي بمعنى الموت، وتأتي أيضاً بمعنى الإغماء²، ولكن ما يحدد المراد هو السياق، والمراد هنا في الآية هو الموت، فقد أرشدنا السياق إلى هذا المعنى، فالله تعالى يقول في عقب الآية: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة:56]، فالبعث يكون بعد الموت، أما في قوله تعالى ﴿وَحَرَّمَ مَيْسِرَ صَعِقًا﴾ [سورة الأعراف:143]؛ فالمراد هنا بالصعق الإغماء، وقد فسر ذلك السياق إذ قال تعالى بعدها في الآية نفسها: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والإفاقة تكون من الإغماء³، فالمهمة الكبرى للسياق هي منع تعدد المعاني، وتحديد معنى اللفظ.

¹ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت: 751هـ، "التبيين في أقسام القرآن"، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1، ص187.

² أنظر، الجوهري، "الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية"، ج4، ص1507. وابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، ج3، ص285.

³ أنظر، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت: 597هـ، "زاد المسير في علم التفسير" تحقيق: عبد الرزاق المهدي "دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422هـ، ج1، ص67.

المطلب الثاني: بيان الإعجاز القرآني

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي أسراره، فهو حجة الله البالغة، وآياته المتجددة، معجزة للإنس والجن، يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 88]، ويعد السياق من أعظم وجوه الإعجاز القرآني، ودلائله التي تظهر القرآن لوحة واحدة ترتيبياً وتماسكاً¹.

وفي هذا يقول الفخر الرازي: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها؛ علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"²، فلو نظرنا في سور القرآن وآياته لرأينا العجب في نظمه كيف يختار الألفاظ المناسبة للسياق، وكيف كان جمال النسق في ترتيب السور والآيات، لم يأت هذا الترتيب عبثاً وإنما كل سورة وكل آية في موقعها، لها من الأسرار والجمال ما لا تتفد كنوزه، وهذا ما يسمى أيضاً بعلم المناسبات³، ومن أمثلة هذا قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُؤُومًا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة البقرة: 60]، ويقول سبحانه: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [سورة الأعراف: 160]، الآيتان في معرض الحديث عن بني إسرائيل مع نبي الله موسى عليه السلام، ويرى القارئ قوله تعالى (فانفجرت) في موضع وقوله (فانبجست) في الموضع الآخر، وهذا الاختلاف في التعبير فيه بلاغة؛ إذ ناسب اللفظ السياق، ففي سورة البقرة عبر

¹ أنظر، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت: 471هـ، "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ-1992م، ج1، ص39.

² الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، ت: 606هـ، "مفاتيح الغيب - التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ، ج7، ص106.

³ أنظر، دراز، "النبا العظيم"، ج1، ص176.

بكلمة الانفجار الذي يدل على كثرة الماء، فناسب سياق البقرة التي كانت في معرض ذكر نعم الله على بني إسرائيل، فالمقام مقام تكريم لهم، فناسب لفظ انفجرت؛ أما في سورة الأعراف فكان الحديث في سياق خطيئة بني إسرائيل فعبر عنه بقوله (انجست)¹، والانبجاس أخف من الانفجار فخرج الماء فيه يكون قليلاً بخلاف الانفجار².

المطلب الثالث: الفهم الصحيح للآيات وإزالة الإشكال عنها

مما يدل على أهمية السياق استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له، واعتماده عليه في التفسير والبيان الصحيح للمعنى، مما ساعد في إزالة الإشكالات في فهم الآيات، وكذلك فعل السلف من بعده، فقد اعتنوا بالسياق، واعتمدوا عليه في تفسيرهم وفهمهم للقرآن، وكذلك فعل العلماء، فكان السياق أصلاً معتبراً عندهم في التفسير، ومن الأمثلة التي توضح ذلك:

1- ما روي عن أم مبشّر، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاثْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم: 71]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ

نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [سورة مريم: 72]³.

فقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم السياق في تفسير الآية الكريمة، وأزال الإشكال في الفهم الذي فهمته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها؛ من خلال لحاق الآية الكريمة وهو قوله تعالى: "ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً".

¹ أنظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "الاتقان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م، ج3، ص393.

² أنظر، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، ت: 542هـ، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ، ج2، ص466. وانظر، الرازي، "مفاتيح الغيب"، ج3، ص529.

³ مسلم، ابن الحجاج، "صحيح مسلم"، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم حديث: 2496.

2- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [سورة ق: 21]، أورد الطبري فيها ثلاثة معان،

الأول: أن يراد بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو قول زيد بن أسلم، والقول الثاني أنه يراد بها

الكافر وهو قول صالح بن كيسان¹ استناداً على ما بعدها حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ

هَذَا فَكُفِّنَّا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [سورة ق: 22] وقال قريته، وهذا ما لدى عتيد² ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ

عِنْدِ﴾ [سورة ق: 22-24]²، الثالث: أنه يراد بها البر والفاجر، لكن الطبري رجح البر والفاجر مرجحاً

دلالة السياق، فالآيات كانت بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنُّ قَرِيبٍ

إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَيْدٍ﴾ [سورة ق: 22] إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيْدٌ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ [سورة

ق: 16-20]، فالإنسان عامة تشمل الكافر وغيره، ورأي الطبري هو الأرجح لأنه نظر إلى السياق نظرة

شاملة من أوله الى آخر الآيات، فكان المعنى أن سكرة الموت جاءت الانسان بعد أن كان في غفلة

عنها، فهو الآن يعاين أهوالها وشدائدها بعد أن أظهرها الله لعينيه، فزال الغفلة عنه، وليس الهدف هنا

الترجيح بين الأقوال وإنما ضرب المثل لاهتمام السلف بالسياق.

3- ما رجحه الطبري في قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [سورة

مريم: 24]، أن الذي ناداها هو ابنها عيسى عليه السلام وليس الملك؛ لسياق الآية: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ

بِهِ مَكَانًا قَاصِيًّا﴾ [سورة مريم: 24] فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ

نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ

¹ هو الامام الحافظ ابو محمد من أئمة الاثر، كان ثقة كثير الحديث، من التابعين، لقي جماعة من الصحابة وتلمذ للزهري، توفي بعد الاربعين والمئة. سير أعلام النبلاء، 454/5.

² الطبري، جامع البيان، ج22، ص350.

تُسَقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٥٥﴾ فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ

لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٥٦﴾ [سورة مريم: 22-26]، يعني حملت عيسى فانتبذت به، ثم

قيل: فناداها¹.

4- روى ابن حبان عن جابر بن عبد الله أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِأُذُنِي هَاتَيْنِ

وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: "يُخْرِجُ اللَّهُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ"، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ فِي حَدِيثِ عَمْرٍو إِنَّ اللَّهَ

يَقُولُ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ مَجْمَعٍ مَخْمَمٍ مِ مِ نَجِ نَجِ نَخْنَمٍ﴾ [سورة المائدة: 37]. فَقَالَ جَابِرٌ

بُنْ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّكُمْ تَجْعَلُونَ الْخَاصَّ عَامًّا هَذِهِ لِلْكَفَّارِ افْرُؤُوا مَا قَبَلَهَا ثُمَّ تَلَا: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ

النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ" هذه للكفار².

ففي هذا المثال بين جابر رضي الله عنه التفسير الصحيح لهذه الآية الكريمة، وأنها خاصة بالكفار، ولا

تشمل عصاة المؤمنين، واستدل على هذا التفسير بالسياق، لكون الآية في سياق الحديث عن الكفار.

¹ الطبري، "جامع البيان"، ج18، ص175.

² ابن حبان، محمد، "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، باب صفة النار وأهلها، ذكر الإخبار عن وصف خمسة أنفس يدخلون النار من هذه الأمة حديث: 7483.

المبحث الخامس: اتصال السياق وأدلته

الأصل في السياق هو الاتصال إلا إذا دلت قرينة على انقطاعه، فدلالة السياق تكون بفهم النص من خلال مراعاة ما قبله وما بعده، فهي قرينة توضح المراد، تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود، أو سابقة¹، فالأولى حمل الآية على تفسير السياق بأن تكون داخلية في معاني ما قبلها وما بعدها؛ لأن ذلك أنسب للنظم ما لم يرد دليل خلاف ذلك² ومن الأدلة على اتصال السياق:

1- وجود دليل لفظي يدل على الاتصال كوجود الروابط النحوية منها: الضمير، الظرف، الاسم الموصول، التعليل، العطف، أسماء الإشارة، الاستثناء، التشبيه، الجار والمجرور³.

2- الاتحاد بين الآيات سواء كان ذلك في الموضوع، أو الهدف، أو الخطاب، أو القصة، أما إذا انقطع ذلك كأن ينقطع غرض الآية إلى غرض آخر، فإنه يكون انقطاعاً في السياق، ولكن ينبغي التنويه إلى أن انقطاع السياق ليس انقطاعاً كلياً، وإنما هو انتقال من هدف أو موضوع إلى آخر في إطار الغرض والهدف العام للآيات، وقد ذهب بعض الباحثين إلى الحديث عن أدلة انقطاع السياق، وهذا ما ذكره عبد الحكيم القاسم في رسالته تحت عنوان: أدلة انقطاع السياق مما نص عليه الإمام الطبري، فقد قام بإحصائها من تفسيره وأوردها على النحو التالي⁴: نص الآية، قول الصحابة، الإجماع، سبب النزول، اللغة، ترجيح معنى الأغلب، الإعراب، لكن الواقع أن الامثلة التي عرضها توضح أن هذا ليس انقطاعاً كلياً عن السياق، وإنما قد يكون اختلافاً في الخطاب، أو انتقالاً إلى غرض آخر فيما يتعلق بالنص العام، أو انتقالاً من سبب خاص إلى حكم عام، ويمكن أيضاً أن تكون الآية عامة فيستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم لشخص معين تتضمنه الآية، فيظن أن السياق انقطع بذلك، ومن أمثلة ذلك:

¹ العيساوي، يوسف خلف، "أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية"، دار البشائر الإسلامية، بيروت. ط1، 1423هـ، ص377.

² أنظر، الحربي، حسين علي، "قواعد الترجيح عند المفسرين -دراسة نظرية تطبيقية"، دار القاسم -الرياض، ط1، 1417هـ-1996م، ص125.

³ أنظر، القاسم، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير"، ص158-159.

⁴ المصدر السابق، ص143.

1. قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ

وَاطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة

الأحزاب:33]، الآية نزلت في نساء النبي وذلك واضح من خلال السياق، لكنها متضمنة قرابة النبي

صلى الله عليه وسلم؛ فقد استشهد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية للحسن والحسين وعلي وفاطمة،

وفي الحديث عند مسلم قالت عائشة رضي الله عنها: "حَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ

مُرْجَلٌ¹، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ

فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيرًا﴾² فهذا ليس انقطاعاً فأزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أهل البيت.

2. في سورة البقرة: ﴿الْم ۝۱﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝۲ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝۳ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝۴ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن

رَبِّهِمْ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [سورة البقرة:1-5]، انقطع السياق وبدأ الحديث عن الكافرين وصفاتهم،

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝۶﴾ [سورة البقرة:6]. فهل هذا

انقطاع كلي عن السياق؟ بالتأكيد هذا ليس انقطاعاً وإنما هو انتقال في الخطاب يبقى ضمن الغرض

الذي يجمع بين الخطابين وهو بيان فئات الناس في موقفهم من هذا الكتاب.

3. في قوله تعالى: ﴿يَمَعْلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ

مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴾ [سورة البقرة:189]. كأن الآية فيها موضوعان مختلفان مما يوحي بانقطاع السياق في الآية، فلو

¹ هو كساء يكون تارة من صوف وتارة من شعر أو كتان أو خز، والمرحل: عليه صورة رجال الابل.

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، حديث 2424، ج4، ص1883.

نظرنا في تفسير الطبري لوجدنا أنه اكتفى ببيان أسباب النزول لشطري الآية، فالشطر الأول كان نزوله جواباً لسؤال وجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن الأهلة، والشطر الثاني تحدث عن قوم كانوا لا يدخلون البيوت إذا أحرموا من قبل الأبواب وإنما كانوا يدخلون من ظهورها¹، وكأنه أظهر انقطاعاً في سياق الآية، ولكن الواقع أن العرب سألوها عن الأهلة وهو أمر يعينهم يشاهدونه بأعينهم، فبينت الآيات أن الأهلة مواقيت للناس والحج، وبما أنه ذكر الحج، والحج يرتبط بالسفر؛ ناسب أن يذكرهم ببعض العادات السيئة المرتبطة بالسفر وهي إتيان البيوت من ظهورها، فعند إطالة النظر في الآيات وإعمال الفكر فيها نجد أنه لا انقطاع للسياق في الآية، وتبقى الآية مرتبطة بسياقها العام.

4. قوله تعالى: ﴿حَنَفُظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ [سورة البقرة: 238-239]. هذه الآية تتحدث عن الصلاة، في وسط الحديث عن الطلاق والفرق والمشاكل الأسرية، وأحكام النساء، فالآية السابقة لها: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَرْصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٣٧﴾ [سورة البقرة: 237]، والآيات التالية لها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٤٠﴾ [سورة البقرة: 240]، لكن عند التأمل في سياق الآية تظهر الحكمة من ذلك من جانبين:

¹ أنظر الطبري، "جامع البيان"، ج3، ص555.

الأول: أن قضايا الأسرة وأحكامها وبخاصة ما يتعلق بالنساء؛ من الأمور التي تشغل العباد عن العبادة، لذلك أمر بالمحافظة على الصلاة لئلا يلهيهم الاشتغال بشؤونها عنها، فالصلاة توجه العبد الى ربه، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، فيكون أجدر وأقرب إلى إقامة تلك الحدود فلا يطغى¹.

الثاني: أن الحديث عن الصلاة جاء فاصلا بين الحديث عن الفراق بين الزوجين إما بسبب الشقاق والطلاق أو بسبب الوفاة، وكأنه يريد أن يعيد الانسان إلى ربه بأداء الصلاة؛ لما فيها من الاطمئنان، ليزيل ذلك الهم والعناء الذي كان بسبب الطلاق أو الوفاة، فالصلاة تربط على قلوبهم². وعلى الرغم من وجود هذه الآيات المعترضة؛ إلا أنه بعد التفكير والبحث في حكمة وجودها بموضوعها المختلف عن سابقها ولاحقها؛ يتبين لنا اتصال السياق وجمال نظمه، وإظهار بلاغة القرآن وإعجازه، فكل ذلك في خدمة السياق.

¹ أنظر، رضا، محمد رشيد، ت: 1354هـ، "تفسير المنار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج2، ص345.

² أنظر، الشعراوي، محمد متولي، ت: 1418هـ، "تفسير الشعراوي"، مطابع أخبار اليوم، 1997م، ج2، ص1022.

المبحث السادس: كيفية الكشف عن السياق والوصول إليه

معرفة السياق في تفسير القرآن ضرورة للوصول إلى الفهم الصحيح للآيات، وذلك من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فلا بد لكل مفسر أن يكون على علم بكل ما يتعلق بالسياق¹، وفهم السياق والوصول إليه واستنباطه؛ يحتاج دقة في الفهم ونظراً ثاقباً²، ولهذا كان لابد من الإلمام بعدة أمور للوصول إلى السياق واستنباطه بشكل صحيح:

1. معرفة اللغة، وأساليبها، وقواعدها، والرسوخ فيها، والنظر في مفردات الألفاظ للآية، وأصول معناها اللغوي، ودلالاتها، فقد نزل القرآن بلغة العرب، ونزل بأساليب استعملوها، فلا بد للمفسر أن ينظر بتمعن في استعمالات العرب للألفاظ؛ حتى يرجح الوجه الأقوى، ثم ينظر في مناسبة السابق واللاحق بعد أن يكون قد أحكم مقدمات هذا العلم وتتبع موارد الاستعمال، ليكون ترجيحه أولى وأنسب³.
2. العلم بأمور السنة، والمعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله والإلمام بعلم الحديث⁴.
3. دقة النظر والتدبر، وإدامة التأمل، وتكرار البحث والتحري في آيات القرآن وسوره؛ للإلمام بأسلوب القرآن، وطريقته وأغراضه، وحسن نظامه وبلاغته فهذا كله يمنح صاحبه الملكة في الفهم لطب السياق وتعيينه بقرائنه المختلفة، ويفتح عليه باباً عظيماً من المعاني⁵.
4. التأمل في السورة كلها، وعدم أخذ الآية بمفردها من سياقها، وجمع أطرافها، وتحديد هدفها العام؛ فإن ذلك من أعظم ما يدلك على فهم الآيات فيها⁶.

¹ أنظر، ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ج15، ص196.

² أنظر، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت: 751هـ، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411هـ-1991م، ج1، ص267.

³ أنظر الهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، ت: 1176هـ، "الفوز الكبير في أصول التفسير"، عزَّيه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة - القاهرة، ط2، 1407هـ-1986م، ج1، ص182.

⁴ أنظر، الشاطبي، "الموافقات"، ص4.

⁵ أنظر، الفراهي، حميد الدين عبد الحميد، ت: 1349هـ، "دلائل النظام"، المطبعة الحميدية، ط:1، 1388هـ، ص41-42. الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج1، ص5.

⁶ أنظر، دراز، النبأ العظيم، ج1، ص196.

5. الاهتمام بعلم المناسبات سواء كان بين الآيات أو السور، والتنبه لوجوه الارتباط بينها، واستخراج المعنى

المؤلف بينها، وإمعان الفكر في المناسبة بين الآية والسياق العام للسورة¹.

6. النظر إلى الأحوال التي نزلت فيها الآية، ومن أهمها سبب النزول، فمعرفة سبب النزول معينة على فهم

المعنى.

7. أن يكون المفسر مطلعًا على كتب التفسير حتى تجتمع لديه خبراتهم وطرقهم ومناهجهم في تفسير

الآيات، لتكون لديه الملكة في تحديد السياق، والوصول إلى التفسير الصحيح للآيات.

¹ أنظر، الفراهي، "دلائل النظام"، ص 77. السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن" ج 2، ص 978.

المبحث السابع: صلة السياق بأسباب النزول

سيكون الكلام في هذا المبحث عن أسباب النزول بشكل مجمل ليتسنى بعد ذلك الربط بين السياق وأسباب النزول، ويتبين مدى صلته بالسياق.

أولاً مفهوم أسباب النزول:

إن القرآن الكريم كتاب هداية أنزله الله تعالى لهداية المكلفين، وهذا هو السبب العام لنزوله، إلا أن هناك أسباباً خاصة كانت لنزول بعض آياته تدرج تحت السبب العام، وعندما يذكر العلماء أسباب النزول فإنهم يقصدون بذلك السبب الخاص وليس العام، ويُعرّف سبب النزول بأنه: ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه¹، وعبارة سبب النزول هذه لم تكن موجودة ولا معلومة زمن الصحابة وعهد التابعين، فلم ترد كلمة سبب، ولكن كانوا يقولون نزلت الآية في كذا وكذا، ويكون معرفة سبب النزول بالنقل الصحيح عن الصحابي الذي روى سبب النزول ممن شاهد النزول ووقف على الأسباب²، ويكون التعبير عن سبب النزول: إما بصيغ صريحة؛ كأن يصرح بلفظ السببية، فيقال (سبب نزول الآية كذا)، ولم أقف على رواية فيها تصريح من الصحابة بهذه الصيغة، وإما أن تأتي فاء التعقيبية على مادة النزول، فبعد أن يورد الحادثة يقول فأنزل الله..، وإما أن تفهم من المقام؛ كأن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى إليه ويجيب بما نزل من دون لفظ سبب النزول ولا بتلك الفاء، وهناك صيغ ليست صريحة في السببية؛ بأن يقال: نزلت الآية في كذا، أو ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا وكذا³.

¹ الزرقاني، محمد عبد العظيم، ت: 1367هـ، "مناهل العرفان"، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، 1362هـ-1943م، ج1، ص106.

² المصدر السابق، ص114.

³ أنظر المصدر السابق، ج1، ص114.

ثانياً: أهمية سبب النزول:

إن لسبب النزول أهمية في فهم الكتاب العزيز، فهو يعين على الوقوف على معانيه، والاستعانة به على فهم الآية ودفع الإشكال عنها، يقول ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب؛ ولهذا كان أصح قولي الفقهاء: أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف؛ رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وأثارها"¹. وقد ذكر السيوطي عدة أمور في بيان أهمية معرفة أسباب النزول²، إجمالها:

- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، لا بعموم اللفظ³.
- الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال.
- دفع توهم الحصر.

ثالثاً: علاقة أسباب النزول بالسياق:

عند الحديث عن دلالة السياق عند العلماء؛ فإنه يقصد بذلك المنهج الضابط للفهم الصحيح للنصوص، وهذا يشمل جانبين: الأول: الجانب الداخلي الذي يتعلق باللغة وبنية الألفاظ ودلالاتها وربطها بالسابق واللاحق، والجانب الثاني هو الخارجي وهو ما يتعلق بالظروف المحيطة بالنص ومقتضيات الحال⁴. فسياق الآيات لا يتعلق بالنظر إليها بما يتعلق بالجانب الداخلي فقط، بل يضم إليه معرفة الحوادث والأحداث المرتبطة به، فكثير من السور والآيات مرتبط بالحوادث والأحداث التي وقعت أيام الدعوة، ومعرفة تساعده على فهم الآية واستخراج ما فيها من المعاني والأسرار⁵، وفهم مقاصد العرب من الكلام قائم على أمرين: الأول: علم

¹ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، ت: 728هـ، "مقدمة في أصول التفسير" دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1490هـ-1980م، ج1، ص16.

² السيوطي، الاتقان، ج1، ص107.

³ هذا خلاف الراجح، فالراجح عند الجمهور أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، انظر، المصدر السابق، ج1، ص111.

⁴ أنظر، الطلحي، ردة الله، "دلالة السياق"، ص50-51.

⁵ أنظر، الطباطبائي، محمد حسين، "القران في الاسلام"، تعريب أحمد الحسيني، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1393هـ-1973م، ص123.

المعاني والبيان، والثاني: معرفة مقتضيات الأحوال¹، يقول السعدي: "فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله؛ من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصاً إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها"²، كما أن للسياق أثر في ترجيح بعض أسباب النزول على بعض عند اختلاف الأقوال، وله دور في تضعيف بعض أسباب النزول، ومثال ذلك: ما وضعه ابن كثير في سبب نزول الآية: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 88]، أنها نزلت في نفر من اليهود عندما جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به فأنزل الله الآية، قال ابن كثير: "وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة مكية، وسياقها كله مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة. فالله أعلم"³.

مما سبق يتبين أن السياق وأسباب النزول كلاً منهما مبين للآخر، فالسياق أيضاً يبين السبب الصحيح للآية، والعلاقة بينهما مشتركة في البيان والإيضاح والفهم الصحيح للآيات.

¹ أنظر الشاطبي، "الموافقات"، ج4، ص146.

² السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت: 1376هـ، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م، ج1، ص30.

³ ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ج5، ص117.

المبحث الثامن: صلة السياق بعلم المناسبات

علم المناسبات من علوم التفسير المهمة، وله صلة بالسياق، وقبل الحديث عن علاقته بالسياق لا بدّ من عرض لمحة موجزة عنه:

أولاً: تعريف علم المناسبات

في اللغة: (نَسَبَ) اتصل شيء بشيء، ومنه النسب، سمي بذلك لاتصاله وللاتصال به، ومن المجاز المناسبة بمعنى المشاكلة والمقاربة¹.

اصطلاحاً: هو (وجه العلاقة والارتباط في كتاب الله بين أجزائه)، يقول البقاعي: "فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه"²، وعلم المناسبة شامل لكل أجزاء القرآن، فقد تكون المناسبة بين الحرف والحرف، وقد تكون بين الكلمة والكلمة، وبين الآية والآية، أو مجموعة من الكلمات، أو مجموعة من الآيات، وكذلك بين السورة والسورة.

ثانياً: أهمية علم المناسبات:

إن معرفة علم المناسبات من أهم ما يجب على المفسر الوقوف عليه؛ لما له من الأهمية البالغة في تفسير القرآن، يقول الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"³، وتكمن أهمية علم المناسبات في عدة أمور:

1. الكشف عن أسرار إعجاز القرآن، مما يؤدي الى ترسيخ الإيمان في القلب، وتمكين العقل⁴.
2. كشف الغموض عن المعاني، وبيان أسرار القصص المكررات، والكشف عن حكمة ذلك⁵.

¹ أنظر، ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة (نَسَبَ)، ج5، ص423. الزبيدي، "تاج العروس"، مادة (نَسَبَ)، ج4، ص266.

² البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، ج1، ص6.

³ الرازي، التفسير الكبير، ج10، ص110.

⁴ أنظر، البقاعي، "نظم الدرر"، ج1، ص11.

⁵ -المصدر السابق، ج1، ص14.

3. بيان العلة من ترتيب أجزاء القرآن، وإظهار اتصال السياق بين الآيات، فهو يظهر سر البلاغة في القرآن¹.

4. الاهتمام بهذا العلم يجعل أجزاء الكلام متسقة ويقوى الترابط، فتصبح كالبناء المحكم، المتلائم الأجزاء، وعدم مراعاة هذا العلم يوقع في بعد عن المعنى ولو كان في الآية الواحدة².

ثالثاً: الصلة بين المناسبات والسياق:

يعد علم المناسبات جزءاً أساساً من السياق، فمعرفة المناسبة بين الآيات والسور يحتاج إلى النظر فيها للوصول إلى غرضها³، "والغرض هو ركن أساس في السياق، والنظر في سياق السورة يعين على إبراز المناسبة والترابط بين الآيات، سواء أكان هذا الربط بين مطلعها وموضوعها، أم آياتها وموضوعها، أم حتى بين السور، أم غير ذلك من أنواع المناسبات، فأثر السياق في إظهار المناسبة يكون في سياق السورة، وترابط المقاطع والموضوعات فيها، وسر الترتيب بينها، وللمناسبة دور في إظهار اتصال السياق، مما يدل على البناء القرآني المعجز في تعبيره وترتيبه ونظمه⁴. وخالصة الأمر: أن السياق و علم المناسبة كلاهما يقوم على تضافر عناصر النص القرآني، والعلاقة بينهما مشتركة، فالسياق مهم في فهم المناسبات، والمناسبات مهمة في تلاحم الكلام وانسجامه، فالمناسبة غاية والسياق وسيلة، وكلاهما وسيلة للفهم الصحيح لكلام الله، وبالمثال يتضح المقال:

1. الآية: ﴿وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: 163]، والآية التي تليها

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ

¹ أنظر، مسلم، مصطفى محمد، "مباحث في التفسير الموضوعي"، دار القلم، ط4، 1426هـ-2005م، ص58-60.

² أنظر، الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج1، ص36.

³ أنظر، البقاعي، "نظم الدرر"، ج1، ص18.

⁴ أنظر، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، ت: 333هـ، "تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة"، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م، ج1، ص274.

وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ
الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [سورة البقرة: 164]، إذا أردنا
أن نظهر التناسب بين الآيات ننظر إلى سياقها، فلو تأملنا الآية الأولى رأيناها تتحدث عن تفرد الله
بالألوهية، وهذا السياق أرشدنا إلى وجه المناسبة بينها وبين الآية التي تليها، فقد ناسب أن يذكر في
الآية التالية الأدلة على تفرد الله بالألوهية وذلك بخلق السماوات والأرض وما فيهما وما بين ذلك من
المخلوقات التي تدل على وحدانيته¹.

2. الآية: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اُخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ
مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ [سورة البقرة: 253]. والآية التالية لها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَّ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ [البقرة: 254]، الآية الأولى
تتكلم عن الاختلاف بين الناس في أمر الدعوة، فمنهم مؤمن ومنهم كافر، وهذا يؤدي إلى حتمية القتال
بينهم، وهذه سنة الله الكونية في إرادته لذلك، ثم جاءت الآيات بعد ذلك تحت المؤمنين على الإنفاق،
فالظاهر أن هناك اختلافاً بين الآيات، لكن عند إعمال الفكر وإطالة النظر والتأمل في السياق تظهر
الصلة بين الآيتين، وذلك أن الآية الأولى تتكلم عن حتمية القتال بين المؤمنين والكافرين، بل وأمر الله
المؤمنين بذلك، والجهاد يحتاج إلى الإعانة عليه، والإعداد والتهيؤ له، لذا جاء الأمر في الآية الثانية
بالنفقة من بعض ما رزق، فشمل النفقة في الجهاد².

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص474.

² أنظر، ابو حيان، "البحر المحيط في التفسير"، ج2، ص604.

3. ومن الأمثلة على أهمية السياق في بيان وجه المناسبة بين السور؛ المناسبة بين سورة الضحى وسورة الشرح، فالسورتان تتحدثان عن تذكير النبي صلى الله عليه وسلم بنعم الله القديمة والحديثة عليه، ذكرت سورة الضحى النعم الحسية، وذكرت سورة الشرح النعم المعنوية، وفي السورتين طلب الشكر على هذه النعم¹.

¹ انظر، المراغي، أحمد بن مصطفى، "تفسير المراغي"، ت: 1371هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ-1946م، ج30، ص188.

المبحث التاسع: صلة السياق بالمتشابه اللفظي

الكلام هنا عن المتشابه اللفظي، الوارد في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا تَقَشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الزمر: 23]، وليس المراد المتشابه الذي يقابل المحكم (المتشابه المعنوي)¹ الوارد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّتْ بِهِ كُلُّ مَن عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [سورة آل عمران: 7]. فالمعنوي هو: ما استأثر الله بعلمه، وما احتمل أوجهها، واحتاج إلى غيره في بيانه، والمحكم عكسه، ما عُرف المراد منه، وما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، وما استقل بنفسه².

المطلب الأول: المقصود بالمتشابه اللفظي

المتشابه اللفظي لغةً:

المتشابه اللفظي هو مركب يتكون من كلمتين: المتشابه: وهو ما دل على تشابه الشيء وتشاكله، وإذا أشكل الأمران نقول اشتبها، والمتشابهات هي المتماثلات³، وخالصة الأمر أن المتشابه يحمل معنيين: التماثل، والإشكال (الالتباس)، فإن الأمر إذا دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله، أدى ذلك إلى الإشكال⁴.

¹ للاستزادة، أبو ناجي، يونس يوسف. (2016). "المتشابه اللغوي عند القراء والمفسرين: تأليفاً وتطبيقاً". مجلة التربوي، ع9، 232-257. مسترجع من: <http://search.mandumah.com/Record/7>.

² أنظر، القطان، مناع خليل، ت: 1420هـ، "مباحث في علوم القرآن"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ-2000م، ج1، ص221.

³ أنظر، الجوهري، الصحاح، مادة (شبه) ج6، ص2236. ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة (شبه)، ج3، ص243.

⁴ أنظر، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت: 276هـ، "تأويل مشكل القرآن"، المحقق: إبراهيم شمس الدين: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1428هـ-2007م، ج1، ص68.

أما كلمة اللفظي فهي نسبة الى اللفظ، وهو أن ترمي بشيء كان في فيك ومنه الكلام، نقول تلفظ بالكلام أي تكلم به، فاللام والفاء والطاء كلمة صحيحة تدلّ على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم¹. فالمتشابه اللفظي هو: ما تشابه من الكلام المنطوق، الذي يؤدّي إلى اللبس.

المتشابه اللفظي اصطلاحًا:

المتشابه اللفظي هو عبارة عن الآيات التي تكررت واشتبهت بسبب التقديم والتأخير، أو الزيادة والحذف، أو التعريف والتكثير، أو إبدال حرف مكان حرف آخر، أو كلمة مكان كلمة أخرى²؛ فهو يتعلق بالآيات المشكّلة التي تكررت في سور وفواصل مختلفة، أو أنها قد تشابهت في النظم لفظًا، واختلفت في أساليبها إمّا من حيث اختلاف الحروف أو المفردة أو الجملة، أو جمع وإفراد، أو تقديم وتأخير، أو تعريف وتكثير، وغيرها من الصور³، بحسب ما يتطلّبه السياق، والأمثلة كثيرة في هذا الباب، ومن ذلك قوله تعالى في موضع: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [سورة البقرة: 58]، وفي موضع آخر: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [سورة الأعراف: 161]، وفي قوله سبحانه ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّيِّكَانَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة البقرة: 61]. وفي موضع آخر ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّيِّكَانَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ [سورة آل عمران: 21].

المطلب الثاني: فائدة علم المتشابه اللفظي في القرآن

يعد علم المتشابه اللفظي في القرآن من العلوم المهمة لأنه يعين على تفسير القرآن فهو من العلوم البينية التي تستدعي ترابط العلوم بعضها ببعض، وعلى الباحث أن يكون على معرفة جيدة بعلوم القرآن، وبعلوم

¹ أنظر، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت: 170هـ، "العين"، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج 8، ص 161. والرازي، زين الدين أبو عبد الله، ت: 666هـ، "مختار الصحاح" لمحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ-1999م، ج 1، ص 2830. وابن فارس، "مقاييس اللغة"، ج 5، ص 259.

² الاسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: 420هـ، "درة التنزيل وغرة التأويل"، تحقيق: د محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها 30 معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 1422هـ-2001، ج 1، ص 51.

³ أنظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 113.

اللغة والبيان¹، وهذا العلم بحاجة الى دقة في التأمل وإعمال النظر في المفردات والتراكيب، والاحاطة بالسياق؛ لمعرفة التمايز بين نظوم الآيات وأسرار ذلك، ولهذا العلم أهمية بالغة لأمر متعلقة بالقرآن نذكر منها:

1. يعد هذا العلم من الأمور المهمة التي تعين على فهم آيات القرآن وتدبر معانيه، والكشف عن أسراره ومكنوناته².

2. إظهار إعجاز القرآن الكريم والكشف عن أسرار بلاغته النافذة التي عجز عنها أرباب البلاغة؛ فمن ينظر في آيات المتشابه اللفظي تتكشف له العلل والأسرار التي تدل يقيناً على أنه تنزيل من رب العالمين، ومصداق للرسالة الخاتمة، ويكشف عن أسرار القصص المكررة، ويزيل الغموض في المعنى³.

3. الرد على الطاعنين في كتاب الله ومن يثير الشبهات حوله، وخاصة شبهة التكرار⁴.

4. إن علم المتشابه من الأمور التي ترسخ الإيمان في القلب وتزيده في النفس عند التأمل والتدبر لتلك المواضع التي جاءت بألفاظ متفقة مع الغرض، فيرى من وجوه البلاغة ما لم يصل إليه بشر⁵.

5. يساعد في تسهيل حفظ القرآن وتثبيتته، ومساعدة الحافظ على عدم الخطأ عند جمع المتشابهات في كل سورة؛ لتثبيت صورة ذهنية عند الحافظ، مما يصونه من الخطأ⁶.

المطلب الثالث: الصلة بين السياق وعلم المتشابه

يعد المتشابه اللفظي من العلوم القرآنية المهمة، فهذا العلم له علاقة بالعلوم الأخرى، كعلم القراءات، وعلم التفسير، وعلم المناسبات، والسياق الذي هو مدار هذا البحث، فالمتشابه في القرآن يكون عرضه في كل

¹ أنظر، ابن الاثير، ضياء الدين، ت: 637هـ، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ج1، ص40.

² أنظر، الاسكافي، ج1، ص11.

³ أنظر، البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، ج1، ص14.

⁴ أنظر، الباقلاني، القاضي ابو بكر محمد بن، ت: 403هـ "الانتصار للقرآن" -تحقيق محمد بن مفلح، دار الفتح -عمان، دار ابن حزم - بيروت، 1422هـ-2001م، ج2، ص802.

⁵ أنظر، الاسكافي، "درة التنزيل وغرة التأويل"، ج1، ص63.

⁶ أنظر المصدر السابق، ج1، ص63.

موضع بما يناسب السياق¹، فالكشف عن أسرار المتشابه اللفظي يحتاج إلى فهم السياق، وكذلك فإن فهم المتشابه يكشف عن السياق ويدل على اتصاله، ويتجلى ذلك في الأمثلة التالية:

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النور: 10]. وفي آية أخرى قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور: 20]، في الأولى قال (تواب حكيم)، وفي الثانية قال (رؤوف رحيم)، والحكمة في ذلك: تكلمت سورة النور في بدايتها عن حد الزنا والقذف إلى أن تحدثت عن قذف الرجل امرأته، وبينت أن من فضل الله على الناس أنه أمهلهم ليتوبوا، ولم يعجل لهم العقوبة على ذنبهم هذا، لذلك قال (تواب) ثم قال (حكيم)؛ لأنه من الحكمة أن لا يعجل للمذنب عقوبته عند وقوعها، وأن يعطيه فرصة للتوبة، وفي هذا استصلاح للناس، أما الآية الثانية فجاءت في سياق حادثة الإفك، وقد بين الله عظم ذنب أهل الإفك، وأمرهم أن يتوبوا، وأن لا يعودوا لمثل هذا الذنب، ووصف الرحمة هنا لأنه تقدم انقاذهم من سوء الذي كان وشيكاً أن يصيبهم، بأن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، فيكونوا كالمنافقين، ولكن الله أنقذهم من ذلك رافة بهم من العذاب ورحمة لهم بثواب المتاب².

المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُوقًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: 112]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [سورة الأنعام: 137]، الآيتان تبينان أن مشيئة الله نافذة

¹ أنظر البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، ص14. قطب، "في ظلال القرآن"، ج1، ص55.

² أنظر، الاسكافي، ت: 420هـ، "درة التنزيل وغرة التأويل"، ج1، ص950. وابن عاشور، "التحرير والتوير"، ج18، ص168، ص186.

في كل أمر، ولكن اختلف التعبير في الآيتين، فالأولى جاء التعبير فيها باسم (الرب)، وأما الثانية فباسم (الله)، والسر في ذلك أن الآية الأولى جاء ذكر الرب؛ لما فيه من الحماية والرعاية والتربية له صلى الله عليه وسلم في سياق ما تعرّض له الأنبياء من أدّى وعداوتٍ، وأمّا الآية الثانية فذكر فيها اسم الله الأعظم؛ لأنه جاء قبلها إشراكهم، فناسب إنزال هذا الاسم؛ لأنّ فيه عنوان الألوهية التي تقتضي التوحيد لا الإشراك¹.

¹ أنظر، الإسكافي، "درة التنزيل وغرة التأويل"، ج2، ص537.

المبحث العاشر: أثر السياق في الألفاظ والمعاني

المطلب الأول: أثر السياق في الألفاظ والتراكيب

لقد نزل القرآن بلغة العرب، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف: 2]. فكان لا بد من اعتبار دلالة اللفظ في اللغة العربية، وهذا وحده لا يكفي للحكم بصواب المعنى؛ لأن المفردات العربية واسعة الدلالة، فكان لابد من أن يجمع مع ذلك أمر آخر وهو دلالة السياق؛ لما له من أثر واضح في تحديد الدلالة المطلوبة من اللفظ، يقول الزركشي: "وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق"¹، وقد بين ابن تيمية أن أكثر ما وقع فيه الخطأ في التفسير من جهة الاستدلال يرجع إلى أمرين:

الأول: مراعاة المعنى دون النظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

والثاني: مراعاة مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به عندهم العربي من غير النظر إلى السياق². وقد أكد على أهمية السياق، وعدم الاكتفاء بدلالة اللفظ، فقال: "فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية"³. فدلالة الألفاظ القرآنية تتغير حسب سياقها في الآيات، ومثال ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا

تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [سورة البقرة: 231]، وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا

تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: 232]، فقد تغيرت دلالة اللفظ

بتغير سياقه، فالخطاب في الآية الأولى للأزواج، والمقصود من (بلوغ الأجل) مشاركة الوصول إلى

انتهاء عدة الطلاق الذي فيه أجل، لأن الأجل إذا انقضى زال التخيير بين الإمساك والتسريح، أما في

¹ الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج2، ص172.

² أنظر ابن تيمية، "مقدمة في أصول التفسير"، ج1، ص33.

³ ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ج6، ص14.

الآية الثانية فالمقصود (ببلوغ الأجل) هو الانقضاء وانتهاء الأجل، فالخطاب فيها للأولياء بأن لا يمنعوا المرأة من الرجوع إلى زوجها؛ إذا أراد أن ينكحها من جديد بعد انقضاء عدتها من طلاقه إياها، ولو كان معنى بلوغ الأجل هو مشاركة الوصول؛ لراجع زوجته دون الحاجة إلى الولي¹، فاختلف السياقين دل على اختلاف المعنى.

2. وردت كلمة السنين في مواضع مختلفة لكل موضع معنى مختلف يناسب السياق، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ

أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:130]، وقال

في موضع آخر ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ

وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس:5]، فمعنى

السنين في الآية الأولى الجذب والقحط ودليل ذلك ورودها في سياق العذاب، فقد قال ونقص من الثمرات،

أما الآية الثانية فالمقصود بالسنين الشهور والأيام والساعات لاقتربها بحساب الأيام وذكر القمر الذي

يعرف به انقضاء الشهور والسنين²، وكذلك كان المراد بالسنين في المواضع الأخرى من القرآن وهي

عشرة³. وهناك كتب مختصة في هذا المجال سميت بكتب الوجوه والنظائر⁴، وهي كتب تجمع ألفاظ

القران التي تحمل دلالات مختلفة باختلاف سياقها، فالكلمة الواحدة تذكر في القرآن في مواضع على

لفظ واحد، وحركة واحدة، ولكن في كل موضع لها معنى ووجه تفسير مختلف عن الآخر⁵.

من جهة أخرى فان للسياق دوراً في اختيار اللفظ المناسب في الآية بما يتناسب مع مقتضى السياق، وغرض

الآية، وقد أشار الرافعي إلى هذا الأمر عندما تحدث عن تناسب الألفاظ في السياق القرآني، فبين أن اللفظ

¹ أنظر، ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج2، ص241-246.

² أنظر، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ت: 510هـ، "معالم التنزيل في تفسير القرآن =تفسير البغوي" حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ-1997م، ج4، ص121.

³ (يوسف:42، 47)، (الكهف:25، 11)، (طه:40)، (المؤمنون:112)، (الشعراء:18، 205)، (الروم:4)، (الإسراء:12).

⁴ ومن ذلك كتاب (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي 597هـ)، (الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري 395).

⁵ أنظر، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، ت: 597هـ، "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة -لبنان -بيروت، ط1، 1404هـ-1984م، ج1، ص83/3، ص268.

قد وُضع في مكانه الأنسب، ولو وضع غيره لما ناسب النظم كما كانت مناسبته، ولما كانت دلالاته بهذه القوة، وهذا الإبداع البلاغي في مناسبته لمفردات الآية¹، ومثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [سورة البقرة: 187]، عبرت الآية عن

الجماع بلفظ الرفث، ثم بعد ذلك في الشطر الآخر من الآية عبرت عنه بالمباشرة حيث قال تعالى: ﴿هِنَّ

لِبَاسٍ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ

فَأَلَعَنَّ بَشِيرُوهُنَّ﴾، والسر في ذلك ينكشف عند تأمل السياق، فنرى أن اللفظة قد وُضعت في مكانها المناسب

الذي يعبر عن المراد تعبيراً دقيقاً، لا يؤدي لفظ آخر معناها المطلوب، فلفظة الرفث تدل على معنى القبح،

وهو لفظ يشعر بالكراهة فالحديث في الآية عن ليالي الصيام التي تكون للقيام والذكر، والجماع يتنافى مع

هذا الغرض، ولما كان السياق في إباحة ما وقعوا فيه خطأ؛ عبر عنه بهذه اللفظة ليدل على قبح فعلهم

استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة، فقد سماه إختياناً لأنفسهم². وبعد ذلك عبر عن الجماع بالمباشرة

(باشروهن)، وفيها تحريض على ذلك، فالأمر مباح في غير وقت الصيام، وهو مقترن بالمقصد الشرعي

للجماع، لتكوين النسل، وتكثير الأمة وبقاء النوع البشري³، ومما ينطبق على الألفاظ ينطبق على التراكيب

اللغوية، فللسياق دور في تحديد الدلالة التركيبية، فالسياق له أثر في تغيير دلالة الجملة ذات الهيئة التركيبية

الواحدة بمفرداتها نفسها؛ إذا قيلت في موقف مختلف، فهي تختلف باختلاف السياق الذي توضع فيه⁴، يقول

الشاطبي: "كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة

وهزأة، ألا ترى إلى قولهم: فلان أسد أو حمار، أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب، وفلانة بعيدة مهوى القرط،

¹ أنظر، الرافي، " إجاز القرآن والبلاغة النبوية"، دار الكتاب العربي -بيروت، ط:8، 1425هـ-2005م، ج1، ص170.

² أنظر، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، ت: 538هـ، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، دار الكتاب العربي -بيروت، ط3، 1407هـ، ج1، ص230.

³ انظر، ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج2، ص183.

⁴ أنظر، عبد اللطيف، محمد حماسة، "النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"، دار الشروق، ط1، 1420هـ-2000م،

ص113.

وما لا ينحصر من الأمثلة، لو اعتبر اللفظ بمجردده لم يكن له معنى معقول؛ فما ظنك بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؟¹، فالسياق قرينة للوقوف على الدلالات الصحيحة للتركيب، فمن إعجاز القرآن عظمة التركيب في آياته بصورة متناسقة منتظمة، بنيت جُمله على أفصح الألفاظ والمعاني كل كلمة وكل حرف في مكانه يؤدي معنى خاصاً، فالترتيب والتأخير والتقديم وغيره كل ذلك له مدلوله بحسب السياق، وهذا ما أشار إليه الجرجاني في نظرية النظم، فالنظم يتعلق بكيفية صياغة الجملة، وترتيبها، على نحو دون غيره، فتأمل ذلك والنظر فيه يساعد في معرفة اتصال السياق وانسجامه ، كما أن السياق يساعد أيضاً في معرفة دقائق النظم وأسراره، من التكرير والتعريف والتقديم والتأخير وغيرها من الأمور النحوية البلاغية، يقول الجرجاني "وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة إن لم يقم فيه ما قُدم، ولم يؤخر ما أُخر، وبدئ بالذي تُثي به، أو ثني بالذي تُلث به؛ لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة، وإذا كان كذلك؛ فينبغي أن تنظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصنعة"²، ومثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة:2]، وقوله تعالى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ

عَنْهَا يُزْفُونَ﴾ [سورة الصافات:47]، صياغة الآيتين مختلف، ففي سورة البقرة، قدم الاسم (ريب) على الظرف (فيه)، أما في سورة الصافات، فقدم الظرف (فيها) على الاسم (غول)، وهذا الترتيب له مدلوله، ففي سورة البقرة سياق الحديث عن القرآن أنه كتاب هدى ليس فيه شك ولا اضطراب ولا قلق، فهو واضح الدلالة والبرهان، فقد نفى صفة الريب عن القرآن، وأثبت أنه حق لا كذب ولا باطل فيه، دون أن يثبت أن هناك ريباً في غيره من الكتب، فلو قال (لا فيه ريب) لكان المعنى نفي الريب عنه وإثباته في غيره، أما قوله: (لا فيها غول)؛ فسياق الحديث هنا عن خمر الآخرة ومقارنتها بخمر الدنيا، فأراد تفضيل خمر الآخرة بأنها لا تُذهب

¹ الشاطبي، "الموافقات"، ج3، ص419.

² الجرجاني، "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، ج1، ص364.

العقول ولا تسبب الصداع، فقدم الظرفية، مما يفيد نفي الغول عن خمر الآخرة وإثباته في خمر الدنيا¹، وهذا من بلاغة النظم القرآني، فبناؤه التركيبي محكم، وعناصره مترابطة الأجزاء معجماً ودلالياً.

المطلب الثاني: أثر السياق في الترجيح بين المعاني

للسياق وأهميته في الكشف عن المعاني والدلالات، فهو يبين المجملات، ويرجح بعض المحتملات، ويوضح الغامض، ويؤكد الواضح، ويخصص العام²، وقد تحتل اللفظة القرآنية أكثر من معنى، فحينئذ لابد من حمل معاني القرآن على أصح قول وأفصح معنى، وذلك بالاستعانة بالسياق، سواء أكان سياق القرآن كله أم سياق السورة أم سياق الآية أو المقطع، يقول ابن تيمية: "وتختلف دلاليته -دلالة الكلام- تارة بحسب اللفظ المفرد، وتارة بحسب التأليف، وكثير من وجوه اختلافه قد لا يبين بنفس اللفظ، بل يُرجع فيه إلى قصد المتكلم، وقد يظهر قصده بدلالة الحال"³، فننظر في السياق بأنواعه وما يتضمنه من دلالات، بالإضافة إلى النظر في القرائن الأخرى كاللغة وأسباب النزول، وغيرها من القرائن، حتى يترجح بها المعنى المراد، فيحمل كلام الله على أصح معنى، فالسياق محل اعتبار في الفهم الصحيح والترجيح بين المعاني، يقول العز بن عبد السلام: "إذا احتمل الكلام معنيين، وكان حملة على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق؛ كان الحمل عليه أولى"⁴، فردُّ آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، ومراعاة السياق؛ مظهر من مظاهر الاعتدال في التفسير، الذي يؤدي إلى الفهم الصحيح، والوقوف على مقصود الشارع في فهم المكلف⁵.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الاختلاف في تفسير المفردات القرآنية؛ لم يكن بهذا الشكل عند الصحابة، وذلك لتوفر عدة عوامل ساعدت في فهمهم الصحيح لمراد الله، هذه العوامل افتقر إليها المفسرون فيما بعد، فالصحابة تتلمذوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاشوا الجاهلية، وعاصروا تنزيل القرآن، وكانوا

¹ أنظر، الزمخشري، "الكشاف"، ج1، ص34.

² الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، "البحر المحيط في أصول الفقه"، دار الكتبي، ط1، 1414هـ-1994م، ج4، ص290.

³ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، "الفتاوى الكبرى لابن تيمية"، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ-1987م، ج6، ص123.

⁴ عبد السلام، عز الدين بن عبد العزيز، "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز"، المكتبة العلمية، بالمدينة المنورة، 1869م، ص277.

⁵ أنظر، الشاطبي، "الموافقات"، ج4، ص266.

عربًا خلاصًا، فكانوا أعرف الناس بمقاصد القرآن وسياقه العام، بخلاف طائفة ممن جاء بعدهم ممن حرصوا على تجميع الأقوال، وكانوا حريصين على تكثير المعاني، فكان مناط بحثهم في المفردات واللغة وغيرها من القرائن التي كانت بعيدة السياق، مما أدى إلى وجود أقوال ضعيفة في التفسير، فالسياق من أقوى الأدلة على الترجيح بين المعاني ما لم يكن هناك دليل أقوى على صرفه إلى معنى أصح، ومن الأمثلة التي تبين ذلك:

1. في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِلُنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ [سورة البقرة: 118]، ذكر

الطبري أن أهل التأويل اختلفوا بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾، ثم ذكر الأقوال

مع الروايات، وبيّن أنّ منهم من قال إن المقصود بذلك النصارى، ومنهم من قال إنّه عنى الله بذلك

اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما الفريق الثالث فقال: عنى بذلك مشركي

العرب. لكن الطبري رجح الرأي الأول من خلال دلالة السياق¹، فقال معلقًا على ذلك: "وأولى هذه

الأقوال بالصحة والصواب قول القائل: إن الله تعالى عنى بقوله: (وقال الذين لا يعلمون)، النصارى دون

غيرهم. لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم، وعن افتراءهم عليه وادعائهم له ولدا"².

2. قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَعَشَى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا

أَكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ [سورة الدخان: 10-12]، في تأويل قوله: "هذا عذاب أليم" ذكر ابن

عطية احتمالين في قائل ذلك:

الأول: أن الله تعالى أخبر بذلك.

الثاني: أن يكون ذلك من قول الناس.

¹ أنظر، الطبري، "جامع البيان"، ج2، ص551.

² المرجع السابق، ج2، ص551.

بعد ذلك رجح القول الثاني بدلالة السياق معلقاً على ذلك: "ويؤيد هذا التأويل سياقه حكاية عنهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾¹.

3. في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:128]، ذكر الفخر الرازي الخلاف في هذه الآية أنها في قصة أحد، أو أنها في واقعة أخرى²، ثم رجح أنها في قصة أحد معلقاً القول المخالف بقوله: "وهو بعيد لأن أكثر العلماء اتفقوا على أن هذه الآية في قصة أحد، وسيق الكلام يدل عليه، واللقاء قصة أجنبية عن أول الكلام وآخره غير لائق³.

4. قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة:124]، ذكر الشوكاني الخلاف في المراد بالعهد في الآية على عدة أقوال: الأول: الإمامة، الثاني: النبوة، الثالث: أمر الله، الرابع: عذاب الآخرة، ثم رجح الإمامة باعتبار السياق قائلاً: "والأول أظهر كما يفيد السياق"⁴.

ومن ذلك نرى الاهتمام البالغ الذي أولاه أئمة التفسير للسياق في بيان المعنى والترجيح بين الأقوال، فالقول الذي يتوافق مع سياق الآية هو القول الصحيح المعتمد، فكل تفسير كان خارجاً عن دلالة الألفاظ والسياق فهو مردود⁵.

¹ ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ج5، ص70.

² ارجع إلى القصة كاملة، الرازي، "التفسير الكبير"، ج8، ص355.

³ المرجع السابق، ج8، ص335.

⁴ الشوكاني، "فتح القدير"، ج1، ص160.

⁵ الحربي، "قواعد الترجيح عند المفسرين" ج2، ص349.

الفصل الثاني

أثر السياق من خلال سورة القصص (الدراسة التطبيقية)

المبحث الأول: تعريف عام بسورة القصص

أولاً: سبب تسمية السورة

إن أسماء السور في القرآن ثبتت بالتوقيف من السنة، والآثار عن الصحابة¹، فقد وردت الروايات الكثيرة التي تبين أن جبريل عليه السلام كان يبين للنبي صلى الله عليه وسلم، موضع السورة وموضع الآية فيها، وأنه كان يأمر كتبة الوحي بوضعها في مكانها من السورة ويسمي السورة باسمها، وكان يحدد أماكن الآيات من سورها، كقوله "يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء"²، وهذا فيه دليل أيضاً على أن ترتيب الآيات توقيفي، وقوله: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران... الحديث"³، فلكل سورة اسم خاص بها يميزها عن غيرها من السور، والسورة قد يكون لها اسم واحد وقد تتعدد الأسماء، كما ورد في سورة الفاتحة، فقد ذكر السيوطي لها خمسة وعشرين اسماً⁴، وقد كانت العرب قديماً تسمي المسميات مراعية في ذلك أخذ الاسم من شيء مستغرب يكون فيه، أو صفة تخصه، وكانوا يسمون القصيدة بأشهر ما فيها، وعلى هذا كانت أسماء السور، فقد جاء القرآن على سنن العرب في أساليبهم⁵ وهناك أسماءً اجتهادية للسور، قد يذكرها العلماء بما تحتويه السورة؛ لكن لا يُعتمد إلا ما ثبت من الأخبار الصحيحة في ذلك، فسورة القصص عرفت بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير⁶، وقد سميت سورة القصص بهذا الاسم لاشتغالها على القصص في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي

¹ أنظر، السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن"، ج1، ص186.

² مسلم، أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلاله، حديث: 1617.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث: 804.

⁴ أنظر المرجع السابق، ج1، ص187.

⁵ أنظر، الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج1، ص270.

⁶ أنظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص513. والزمخشري، "الكشاف"، ج3، ص391. والرازي، "التفسير الكبير"، ج24، ص577.

عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ ابْنَ يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ

لَا تَخَفْ جَوَّتْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ [سورة القصص: 25]، والمقصود به القصص الذي قصه موسى

عليه السلام على نبي الله شعيب عليه السلام، وهذه السورة استغرقت فيها قصة موسى عليه السلام حيناً كبيراً، فقد تحدثت الآيات عن موسى عليه السلام باستفاضة في هذه السورة، وهي السورة الوحيدة التي انفردت بذكر بسبب هجرة موسى عليه السلام من مصر إلى مدين، ومعظم السورة فيها حديث عن قصة موسى عليه السلام وقصة قارون مع قومه، فالقصص متوغلٌ فيها¹.

وهناك أمر آخر يظهر من خلال الرجوع الى اللغة، فالقصص من قَصَّ الشيء يُقْصُهُ قِصًّا، وقَصَّ الحديث يقصه قِصًّا أي روايته على وجهه، وكذلك اقتفاء الأثر يسمى قصصاً أيضاً، فإنه ينتبع الأثر شيئاً بعد شيء، ومن ذلك اشتقاق القصص في الجراح، وذلك أنه يفعل مثلما فعل بالأول، ويقال قصصت الشعر؛ لأنك تساوي بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة تابعة لأختها²، فالقصص يحمل معنى التتابع والتماثل، والقصص هي الأخبار المتتبعة³، وإذا نظرنا إلى سورة القصص نجد قصة موسى عليه السلام قد ذكرت بتسلسل وتتابع؛ ثم ذكرت بشارة لسيدنا محمد بالعودة الى مكة تماماً مثل ما حصل مع موسى عليه السلام وعودته من مدين، وكذلك ينطبق الأمر على المؤمنين، فمن يستقيم على طريق الحق لا يضره كيد الأعداء ومكرهم فإن الله ناصره لامحالة، فكان في هذه السورة التتابع والتماثل.

¹ أنظر، ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج20، ص61.

² أنظر، ابن دريد، "جمهرة اللغة"، باب (ص ق ق)، مادة(قصص)، ج1، ص142. أنظر أيضاً، الهروي، "تهذيب اللغة"، باب (القاف والصاد)، ج8، ص211. الجوهري، "الصاحح"، مادة(قصص)، ج3، ص1051. ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة (قَصَّ)، ج5، ص11.

³ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين، ت 502هـ، "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية -دمشق بيروت، ط1، 1412هـ، ص671.

ثانياً: ترتيب سورة القصص في الصحف وعدد آياتها وكلماتها وحروفها

كما أن ترتيب الآيات في القرآن أمر توقيفي؛ كذلك فإن ترتيب السور هو أمر توقيفي، وهو ما عليه جمهور العلماء¹ أنه توقيفي، واستدلوا على ذلك بعدة أدلة منها:

- إجماع الصحابة على مصحف عثمان، وإجماعهم من قبل على ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.
- إن السور المتجانسة غير متتالية في القرآن، وكذلك المتشابهة في فواتح السور غير متجانسة، فلو كان الأمر اجتهادياً لكان الترتيب وفق قاسم مشترك.
- علم المناسبات، فإن الله تعالى لم يعدل عن ترتيب النزول إلى الترتيب الموجود إلا لحكمة تجلت لنا في علم المناسبات.

كما استدلوا على ذلك ببعض الأحاديث² منها:

حديث النبي صلى الله عليه وسلم " إقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، أقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، أقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة"³.

- عن عائشة، رضي الله عنها قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه، نثت في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يده من جسده" قالت عائشة: «فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به"⁴. ووجه الدلالة في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وأمره

بقراءة هذه السور بهذا الترتيب.

¹ الزركشي ذكر أن جمهور العلماء على أن الأمر اجتهاد من الصحابة، ولكن هذا الأمر خاطيء، فالجمهور على أنه توقيفي.

² للاستزادة انظر، السيوطي، جلال الدين، "أسباب ترتيب القرآن"، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - القاهرة، 2002م، ج1، ص32.

³ مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث: 804.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية، حديث: 5748.

وترتيب سورة القصص: أنها السورة الثامنة والعشرون بين سورة النمل والعنكبوت بترتيب المصحف.

عدد آياتها: ثمانية وثمانون آية جميع العدد¹.

وعدد كلماتها: ألف وأربع مئة وإحدى وأربعون كلمة².

وعدد حروفها: خمسة آلاف وثمانمائة حرف³.

ثالثاً: فضل سورة القصص

لم ترد روايات صحيحة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل سورة القصص وفضل قراءتها، فكل ما ورد في هذا الباب أحاديث ضعيفة، لم تثبت⁴، وفضل قراءتها كباقي السور في الأجر والثواب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"⁵. كما ويظهر فضل هذه السورة في المواضيع التي عرضتها، والحكم والمواعظ التي تجلت في القصص التي عرضتها.

¹ أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد، ت: 444هـ، "البيان في عدّ آي القرآن"، المحقق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط1، 1414هـ-1994م، ج1، ص201.

² المصدر السابق، ج1، ص201.

³ المصدر السابق، ج1، ص201.

⁴ من هذه الروايات عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ طسم القصص أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به، ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة، أنه كان صادقاً أن كل شيء هالك إلا وجهه)، هذا الحديث لم أقف عليه في كتب الحديث، أورده الطرابلسي، محمد بن محمد، ت 1177، "الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع"، تحقيق د. مُحَمَّد محمود أحمد بكاء. الطبعة الأولى. مكتبة الطالب الجامعي. الريان. مكة المكرمة. 1408هـ، ج1، ص986، وحديث عليّ: يا عليّ من قرأ طسم القصص أعطاه الله من الثواب مثل ثواب يعقوب، وله بكل آية قرأها مدينة عند الله، ضعفه الزيلعي، جمال الدين، "تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ط1، الأولى، 1414هـ، ج3، ص36.

⁵ الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر، حديث: 2910.

رابعاً: سورة القصص... مكية أم مدنية؟

سورة القصص مكية في قول جمهور التابعين ما عدا الآيات: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة القصص: 52]¹، وقال مقاتل: "فيها من المدني قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة القصص: 52-55]² وذكر بعضهم ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [سورة القصص: 85]، فقد نزلت في أثناء الهجرة وهو بالجحفة، وهذا لا ينافي كونها مكية فالمكي ما نزل قبل حلول النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة³.

خامساً: المعنى الإجمالي للسورة:

يظهر لقارئ السورة أنها جاءت لتعرس قيمة الإيمان بقوة الله، وتظهر هذه القوة في عرض قصة موسى عليه السلام، ونجاته من فرعون، وإهلاك فرعون وجنوده، وكذلك قصة قارون وإهلاكه بسبب علوه واعتزازه بماله وعلمه، لتبين للناس أنّ الأمن يكون في مخافة الله، وفي جوار الله، حتى لو فقدت كل أسباب الأمن الدنيوية⁴.
أما موضوعاتها: فيمكن تلخيصها في عدة نقاط:

- 1- قصة موسى عليه السلام من مولده حتى غرق فرعون.
- 2- قصة قارون وانتقام الله منه بعد بغيه وإفساده.
- 3- وعد الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وردّه إلى مكة منتصراً.

¹ انظر الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج1، ص201.

² مقاتل، ابو الحسن، "تفسير مقاتل بن سليمان"، ت: 150هـ، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط1، 1423هـ، ج3، ص334.

³ انظر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج20، ص61.

⁴ أنظر، قطب، "في ظلال القرآن"، ج5، ص2675.

سادساً: الأهداف العامة للسورة¹:

- 1- إن الطابع العام في السورة هو السرد القصصي، وهذا يحمل في طياته العبرة والموعظة، للوقوف على مصير الأمم السابقة التي كذبت رسل الله.
- 2- تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، بمقارنة ما يحدث معهم بقصة موسى عليه السلام، وأن العاقبة للمتقين.
- 3- بيان أن العلو في الأرض والإفساد فيها، والاستعلاء بالمال والعلم؛ هو سبب الهلاك.
- 4- إثبات وحدانية الله وقدرته على الخلق من خلال ذكر الأدلة على ذلك.
- 5- التأكيد على أن الثقة بوعده الله، والايمان بقوة الله؛ سبب في تحقيق النصر ولو بعد حين.

¹ أنظر، ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج20، ص62. الزحيلي، "التفسير المنير"، ج20، ص59. قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2674

المبحث الثاني: أثر السياق في أسباب النزول من خلال سورة القصص

إن لأسباب النزول أهمية في الكشف عن السياق وإظهاره في القرآن، وأسباب النزول يدخل فيها كل ما يتعلق بنزول الآيات من الرويات الصحيحة، وكل ما يتعلق بالمكان والزمان والحوادث التي تتصل بنزول الآيات، فكل ذلك مهمٌ في توجيه المعنى والكشف عنه، وهذا ما أشار إليه الشاطبي عندما بين أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات فهناك تلازم بين السياق وأحوال التنزيل¹، وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن الظروف العامة التي أحاطت بنزول هذه السورة والآيات التي وردت فيها أسباب نزول.

المطلب الأول: سياق نزول السورة إجمالاً

الجو العام لنزول هذه السورة: نزلت الآيات بوعد للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخير وأن لهم الغلبة، وقد كانوا بمكة مستضعفين من قريش، عاشوا في شدة وفتنة، فنزلت الآيات بقصة موسى عليه السلام مع فرعون، وكيف نجّاه الله وجعل بني إسرائيل هم الوارثين، وعلى هذا سيكون حال المؤمنين، فكأنه وعدٌ من الله بأنه سيعيد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى مكة ولهم الغلبة، وقد خرجوا منها مهاجرين في خوف من قومهم وهم يلاحقونهم، فكان فيها تثبيتٌ لفرّاده صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، ثم ذكرت السورة قصة قارون وعلوه وطغيانه بالمال والعلم، فكانت عاقبته أن خسف الله به وبداره الأرض، فلم ينفعه ماله ولا علمه، وهذه عاقبة الظالمين، فقد بينت السورة أن هناك قوة واحدة هي قوة الله، وأن قيمة الإيمان هي التي تحقق الغلبة لصاحبها²، وكان ذلك تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً للمؤمنين، ووعداً لهم بالتمكين والنصر وبشارة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برده إلى بلده منتصراً، وأكدت الآيات أن الدنيا زائلة، وما الدار الباقية إلا الجنة وهي عاقبة المتقين. وفهم السياق العام لنزول السورة، والجو العام لنزولها، والظروف المتعلقة بها؛ كل ذلك يعين في فهم الآيات، والاجابة عن تساؤلات كثيرة في السورة؛ في اختيار الألفاظ

¹ أنظر، الشاطبي، "الموافقات"، ج4، ص266.

² أنظر، قطب، "في ظلال القرآن"، ج5، ص2674.

والتراكيب المناسبة لسياق السورة، وسيظهر هذا في المباحث التالية في الحديث عن المناسبة في سورة القصص، والمتشابه اللفظي، والترجيح بين المعاني.

المطلب الثاني: آيات أورد المفسرون لها أسباب نزول

بعد البحث لم أجد روايات صحيحة في أسباب نزول خاصة في آيات مخصوصة إلا آية واحدة:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص:56].

سبب نزول الآية: أجمع جل المفسرين على أنها نزلت في أبي طالب¹، نزلت هذه الآية في أبي طالب؛ ومن الروايات في ذلك: "أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: "أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله" فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة:113]. ونزلت: "إنك لا تهدي من أحببت"².

ملاحظة على هذه الرواية ربما يظن القارئ أن آية التوبة نزلت في أبي طالب، ولكن هذا ليس صحيحاً، فالرواية تقول فنزلت والمقصود بشكل عام وليست في أبي طالب فسورة التوبة مدنية وهي من آخر ما نزل، فهذه الآية لم تنزل بسبب خاص وإنما كانت عامة للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن لا يستغفروا للمشركين، والذي أنزل في شأن ابي طالب هو الآية من سورة القصص "إنك لا تهدي من أحببت.."³، وفي

¹ أنظر، القرطبي، تفسير القرطبي، ج13، ص299، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، ت:468هـ، "أسباب نزول القرآن"، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح -الدمام، ط2، 1412هـ-1992م، ج1، ص338.

² البخاري، محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة ابي طالب، حديث: 3884.

³ أنظر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، ج8، ص508.

رواية أخرى، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت: "قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، فأبى"، فأنزل الله: "إنك لا تهدي من أحببت"¹.

أنظر الربط في عرض القصص، فلو نظرنا في الآية ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص: 76]، فعلى الرغم من كون قارون من قوم موسى لم يسعفه ذلك بسبب طغيانه، وكذلك أبو طالب كونه عم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسعفه ذلك ولم يشفع له، لعدم إيمانه.

ومما سبق يتبين أن ما نقلته لنا كتب السنة وما نقله لنا المفسرون من أسباب النزول للآيات بتصوير الأحداث مشتملةً على زمانها ومكانها والعلاقة بين المتحدثين، في إطار السياق، ساعد في إيضاح المعنى، وهذا سيظهر أكثر من خلال الحديث عن المتشابه في السورة مع غيرها.

¹ مسلم، بن الحجاج النيسابوري، "صحيح مسلم"، كتاب الايمان، باب أول الايمان قول لا إله إلا الله، حديث 25.

المبحث الثالث: أثر السياق في توجيه المناسبة من خلال سورة القصص

إن ترتيب الآيات أمر توقيفي والسور كذلك كما ذهب إليه جمهور العلماء العلماء ، وهذا يعني أن كل سورة وضعت في ترتيبها بوحى إلهي، وكذلك الأمر في الآيات، وسيكون في هذا المبحث إبراز المناسبة في سياق سورة القصص، بين سورة القصص وما قبلها وما بعدها من السور، وكذلك المناسبة في آيات السورة نفسها¹.

المطلب الأول: المناسبة في سورة القصص

أولاً: اسم السورة وعلاقته بسياق السورة: هذا تم الحديث عنه في التعريف العام بالسورة.

ثانياً: المحور الأساس في السورة وعلاقة موضوعات السورة فيه:

المحور الأساس: إن مواضيع السورة الفرعية تتبع المحور الرئيس في السورة الذي يتمثل في (الصراع بين

الحق والباطل) وهذه المواضيع هي²:

- قصة موسى مع فرعون وجنوده.
- قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين مع قريش ومن تحالف معهم من اليهود.
- قصة بني إسرائيل مع قارون وجنوده.

ومن ذلك تظهر قيمة الإيمان في تحقيق نصر الله على أهل الباطل.

ويمكن تقسيم السورة بطريقة أخرى على النحو التالي:

1. المحور الأساس: غرس قيمة الثقة بوعد الله، فالنصر يبدأ بالثقة بتحقيق وعد الله ولو بعد حين.

2. تقسيم السورة إلى موضوعات وربطها بالمحور الرئيس:

¹ علم المناسبة يشمل المناسبات في السورة الواحدة ويقسم إلى: المناسبة بين الآيات في السورة، والمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، أما النوع الآخر فهو المناسبات بين السور ويقسم إلى: المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها، مناسبة مضمون كل سورة لما قبله، وخاتمة السورة لفاتحة ما قبلها، أنظر، مسلم، مصطفى، "مباحث في التفسير الموضوعي"، دار القلم، ط4، 1426هـ-2005م، ص70-78.

² أنظر، قطب، سيد، "في ظلال القرآن"، ج5، ص2674.

- الآيات: (1-43) قصة موسى وبني إسرائيل مع فرعون وجنوده:

• تكلمت الآيات عن إفساد فرعون وتعذيبه لبني إسرائيل، فيأتي وعد الله لهم بالنصر والتمكين¹ يقول تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي

نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ

أَيِّمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٤٢﴾ وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا

يَحْذَرُونَ ﴿٤٣﴾ [سورة القصص: 4-6]، فيبدأ تحقق وعد الله بولادة موسى عليه السلام.

• بعد ولادة موسى عليه السلام أوحى الله لأمه أن ترضعه وتلقيه في اليم، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ

مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ

مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [سورة القصص: 7]، لأن فرعون كان يقتل كل ذكر يولد في بني إسرائيل، بسبب تفسير

كاهن لرؤيا رآها، بأنه سيولد من بني إسرائيل طفل يذهب ملك فرعون على يده²، فاستجابت أم موسى

وعندها يقين بوعد الله، وهنا إشارة إلى أن النصر يبدأ بالثقة في تحقيق وعد الله، فقد قال سبحانه بعد

ذلك: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ [سورة القصص: 14]. أي

أن أم موسى لما استسلمت لأمر الله ووثقت بوعد رددنا لها موسى ووهبنا له النبوة وكذلك الأمر لكل

محسن واثق بوعد الله ونصره³ يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ

فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [سورة القصص: 7].

¹ أنظر، الشعراوي، "تفسير الشعراوي"، ج 17، ص 10876.

² أنظر، الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 392. وقد ذكر الطبري رواية في هذا: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قوله: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) قال: قذف في نفسها، حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: أمر فرعون أن يذبح من ولد من بني إسرائيل سنة، ويتركوا سنة، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى؛ فلما أرادت وضعه، حزنت من شأنه، فأوحى الله إليها (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)، الطبري، ج 19، ص 519.

³ أنظر، القرطبي، تفسير القرطبي، ج 13، ص 259.

- تحقق وعد الله بأن حرم الله المراضع على موسى¹ وورده إلى حضن أمه كي تقر عينها، يقول تعالى: ﴿

وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِاحُونَ ﴿١٢﴾ فَوَدَدْنَا لِيَأْتِيَ إِلَيْنَ آمِهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [سورة القصص: 12-13].

- نشأ موسى في قصر فرعون إلى أن أصبح شاباً، وقتل من قوم فرعون رجلاً خطأً، فنجاه الله وهرب إلى

مدين، وتزوج، وحن الوقت لعودته، وفي أثناء العودة وصل إلى الطور فناداه الله وكلفه الله بالرسالة².

فكان تحقيقاً لوعد الله الثاني لأمه، يقول تعالى: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة القصص: 7]، ويقول

تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهَا نُورِي مِنْ شَلْطِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَلْمُوسَىٰ

إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَمْ

يُعْقِبْ يَكْمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ

غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ [سورة القصص: 30-32].

- طلب موسى من الله أن يشد عضده بأخيه هارون³، فوفى الله له وعده بما طلب ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ

بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ أُتْبِعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: 35].

¹ أنظر، الرازي، "التفسير الكبير"، ج24، ص582.

² أنظر، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد، ت: 685هـ، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418هـ، ج4، ص177.

³ أنظر، ابو حيان، "البحر المحيط"، ج8، ص304.

• لم يستجب فرعون لدعوة موسى وطغى واستكبر، فكانت نهايته أن أهلكه الله وجنوده في البحر ونجى

موسى وقومه¹، ﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾

فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأُنْظِرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً

يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ [سورة القصص: 39-42]، وبذلك يوفي الله وعده بتمكين بني إسرائيل

في الأرض كما وعدهم في بداية الآيات ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا

مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ [سورة القصص: 6].

انتهى المقطع الأول من السورة، أنظر كيف كان سياق الآيات مترابطا، متناسبا، في انسجام دون أن يخرج

عن المحور الأساس للسورة، بما يظهر الاعجاز البياني في عرض الموضوعات وترابطها في سياقها. والآن

نتنقل إلى المقطع الثاني:

- الآيات (44-75)، قصة محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين مع قريش ومن ناصرهم من

اليهود

بدأت الآيات بالتعقيب على قصة موسى عليه السلام- انظر إلى جمال الربط، والانتقال بانسياب واتصال،

فقد بينت الآيات أن قصة موسى تدل على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق الوحي، وذلك

لما يتلوه محمد عليه السلام من تفصيلات تلك القصة ودقائق أحداثها دون أن يكون قد حضرها²، ﴿وَمَا كُنْتَ

بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ

¹ أنظر، المراغي، تفسير المراغي، ج20، ص60.

² أنظر، قطب، "في ظلال القرآن"، ج5، ص2678.

الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَوُا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ [سورة القصص: 44-46]، فقد أرسل الله رسوله رحمة لقريش حتى يهتدوا فلا يعذبهم بشركهم، ولكنهم كفروا كما فعل فرعون وقومه مع موسى عليه السلام، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كِفْرٍ نَّكَرُونَ ﴿٤٨﴾ [سورة القصص: 48]، فقد كان في الجزيرة يهود معهم التوراة فلم يؤمن لهم العرب، وكذبوا بما بين أيديهم من التوراة، وكانوا على علم بأن صفة محمد عليه السلام موجودة في التوراة وسألوا أهل الكتاب عن ذلك، فوجدوا أنه مطابق لما بين أيديهم، فحكم الله عليهم بالضلال لاتباع أهوائهم¹، يقول تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [سورة القصص: 50]، وقد تحقق وعد الله بعدم هداية من ضل واتبع هواه. وأما من اتبع الرسول، وأمن ولم يتبع هواه، وصبر على الإيذاء فإن الله وعده بالنصر والتمكين في الدنيا، والحسنى في الآخرة، ورغم كل الأدلة إلا أن قريشاً عاندت وكفرت، وأذت المسلمين، وطردت النبي صلى الله عليه وسلم من بلده، فجاء وعد الله له بالنصر، كما نصر موسى عليه السلام بما تحمل من إشارات ومقارنات في الأحداث فبالتالي تشابه في النهاية، وقد تحقق وعد الله في فتح مكة، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٢﴾ مِّن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّهَا وَمَنْ

¹ أنظر، قطب، "في ظلال القرآن"، ج5، ص 2699.

جَاءَ بِالسِّيَةِ فَلَا يُجْرَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَرَّضُوا عَلَيْكَ الْفُرْعَانَ
لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ [سورة القصص: 83-85].

• الآيات (76-81) قصة قارون الذي استكبر واستعلا بالمال والعلم على قومه

بينت الآيات علو قارون بالمال والعلم، وكان ذلك مقارنه بالقصة الأولى التي استعلى فيها فرعون بالسلطان
والحكم، فكلا الأمرين أدى إلى الإفساد والتكبر واتباع الهوى، مما أدى إلى الانحراف عن الحق والإيمان،
فكانت العاقبة أن خسف الله بقارون وبداره الأرض: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتْنَا لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ
ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ
فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [سورة القصص: 79-81].

وكذلك في عرض هذه القصة لفئة جميلة في بيان اتصال السياق ودوره في توجيه المناسبة، فقد كان من
أنواع الأذى التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين من قبل المشركين؛ أن
أعرضوا عن دعوته اعتزازاً بأموالهم فقال الله على لسانهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ
عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ [سورة الزخرف: 31]¹، وقد تحقق وعد الله للمؤمنين وأهلك كل من صفته كذلك، ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
جَعَلْنَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [سورة القصص: 83]، ثم انظر إلى لفته
أخرى فيها إشارة إلى أهل مكة عندما قال ﴿إِنَّ قَدْرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ ﴿٧٦﴾﴾ فهل نفعه أنه من قومه؟ لا
ينفع إلا الإيمان، وكذلك يا قريش لا ينجيكم أن محمداً منكم وأنكم من قومه إن كفرتم، فسينزل الله بكم عذاباً
وينصر المؤمنين عليكم كما فعل بغيركم.

¹ أنظر المصدر السابق، 20، ص 174.

- الآيات (85-88) هنا يعود الخطاب كما بدأ إلى النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وبالوعد الذي وعده إياه بأنه راده إلى بلده بعد أن أخرجه قومه ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة القصص:85]، وقد تحقق وعد الله له في 8هـ يوم الفتح¹.

- ثالثاً: مناسبة بداية السورة لخاتمها:

- من الأمور التي تظهر ترابط السياق مناسبة أول السورة لآخرها، ويظهر الترابط في الأمور التالية:
- بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿طَسَّرَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ [سورة القصص:1-2]، وختمت بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ﴾ [سورة القصص:85]، وقوله: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، بدأت بذكر القرآن وآياته وانتهت بذكره.
 - بدأت السورة بذكر قصة موسى عليه السلام وهجرته من موطنه مصر والعودة إليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة القصص:7]، وانتهت بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم من بلده مكة والعودة إليها، ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ﴾ [سورة القصص:85]².
 - بدأت السورة بذكر موسى عليه السلام ونصرته وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة القصص:17]، وختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، بأن لا يكون ظهيراً للكافرين بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة القصص:86]³.

¹ أنظر، الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، ت: 1402هـ، "أوضح التفاسير"، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383هـ- فبراير 1964م، ج1، ص480.

² أنظر، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ط1، 1426هـ، ص58.

³ أنظر، السيوطي، "الاتقان في علوم القرآن"، ج3، ص379.

• المقارنة والمقابلة بين عاقبة العلو والإفساد في بداية السورة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا

شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ [سورة

القصص:4]. إلى أن قال: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ [سورة

القصص:6]، وجزاء من لا يعلو ولا يفسد في الأرض، بقوله: ﴿تَاكُ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ

عُلُوفًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [سورة القصص:83].¹

المطلب الثاني: مناسبة سورة القصص لما قبلها (النمل)

أولاً: من حيث المضمون:²

1- جاء في سورة القصص تفصيل لما أجملته سورة النمل من قصة موسى عليه السلام.

2- أجملت سورة النمل توبيخ المشركين الذين سألوا عن يوم القيامة، بينما بُسط ذلك في القصص من خلال

الاحبار عن إهلاك الكثير من أهل القرى، والتساؤل عن شركاء الله يوم القيامة، وإيراد الأدلة التي تثبت

قدرة الله على الخلق والبعث.

3- فصلت سورة النمل أحوال بعض المهلكين من قوم صالح ولوط، وأجملت ذلك سورة القصص بقوله

تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمٍ بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهُمَا فَتَاكُ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا^ص

وَكَتْنَا لِحُنُ الْأَوْرَثِينَ ﴿٥٨﴾ [سورة القصص:58].

4- فصل القرآن في النمل مصير من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة، وأجمل ذلك في القصص.

¹ أنظر، مطني، محمد، "سورة القصص دراسة تحليلية"، تحقيق: محمد صالح عطية، ديوان الوقف السني، 2012-1433هـ، ص25

² أنظر، المراغي، تفسير المراغي، ج20، ص30. الزحيلي، التفسير المنير، ج20، ص52.

ثانياً: مناسبة مقدمة سورة القصص مع مقدمة سورة النمل:

إجمال هذا التناسب في عدة نقاط¹:

1- افتتاحية السورتين بالحروف المقطعة ووصف القرآن فيها شبه تطابق، ففي سورة القصص: ﴿طَسَرَ ۝١﴾

تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ [سورة القصص: 1-2]، أما النمل ففيها ﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ

وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ [سورة النمل: 1].

2- وصف الفئة المتبعة للقرآن بأنهم مؤمنون في كلا السورتين، في القصص ﴿نَتَلَوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى

وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ [سورة القصص: 3]، وفي النمل ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة

النمل: 2].

ثالثاً: المناسبة بين مقدمة النمل وخاتمة القصص²:

1- في مقدمة النمل قابلت الآيات بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين وذكرت صفات كل منهم وعاقبته

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة النمل: 2-5]، وفي خاتمة القصص ذكرت الفريقين ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ

بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة القصص: 85].

2- في مقدمة النمل بينت الآيات أن مصدر القرآن هو الوحي، ﴿وَإِنَّا لَنُنزِّلُ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ

عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة النمل: 6]، وفي خاتمة القصص تأكيد بأن هذا الكتاب من الله؛ أنزله على نبيه محمد صلى

¹ انظر، خلة، محمود عبد الخالق، "سورة القصص دراسة تحليلية وموضوعية" رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، 2002م-1423هـ، ص31.

² أنظر المصدر السابق، ص34.

الله عليه وسلم، ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة القصص: 85].

رابعاً: خاتمة النمل مع مقدمة القصص:

إنتهت سورة النمل بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النمل: 93]، وبدأت القصص بقوله تعالى: ﴿طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ [سورة القصص: 1-2]، أنظر إلى التناسب والترابط، فقد ختم الله في النمل بوعد منه أنه سيظهر آياته فتُعرف، وأنه ليس بغافل عن الظالمين وفعالهم، ويأتي الإفصاح في القصص بأن هذه هي الآيات التي سيتلو فيها من أنباء موسى وفرعون، فأراهم الله الآيات في الأمم السابقة، وعرفوها بتفصيل أكثر¹.

المطلب الثالث: مناسبة سورة القصص لما بعدها (العنكبوت)

إن المتأمل في ترتيب السور في القرآن الكريم يدرك الحكمة في هذا الترتيب رغم اختلاف النزول، فما كان ذلك إلا لحكمة تظهر التناسب بين السور بما يمليه سياقها ليظهر الترابط والانسجام في سور القرآن وآياته، وبعد البحث في علاقة سورة القصص مع العنكبوت تبين أن المناسبة بينهما في عدة أمور مجتمعة في النقاط التالية:

أولاً: من حيث المضمون²:

1- ذكر في سورة القصص استعلاء فرعون واستكباره وظلمه، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا

شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة

القصص: 4]. وافتتح سورة العنكبوت بتذكير المؤمنين بما حصل من فتنة للمؤمنين من قبلهم تسلية لهم

¹ أنظر البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، ج 14، ص 236.

² أنظر، المراغي، "تفسير المراغي"، ج 20، ص 109.

وحثهم على الصبر وتذكيرهم بأن العاقبة للمتقين: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٣٠﴾ نَسَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة القصص: 2-3].

2- تكلمت الآيات في سورة القصص عن نجاة موسى وهربه من فرعون ومن ثم عودته إلى مصر نبياً، وقد كانت له الغلبة هو والمؤمنين بأن أغرق الله فرعون وجنوده¹، وفي سورة العنكبوت ذكرت الآيات نجات نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين في السفينة وإغراق المكذبين، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة العنكبوت: 14-15].

3- ذكرت سورة القصص عبدة الأصنام والأوثان وبيّنت عاقبتهم بأن الله سيفضحهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿١٧﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القصص: 62-64]، وكذلك في سورة العنكبوت أنكر على هؤلاء المشركين وبين أنهم في ضعفهم كبيت العنكبوت، ﴿مَثَلِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة العنكبوت: 41-42].

4- تحدثت الآيات في سورة القصص عن قصة فرعون وقارون² وبيّنت عاقبتهما، وكذلك تم ذكرهما في سورة العنكبوت: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَلُمَّنَّ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ

¹ القصص: (15-40).

² القصص: (1-40)، (76-81).

وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن
 أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
 وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [سورة العنكبوت: 39-40].

5- كان في سورة القصص إشارة إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ
 عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [سورة القصص: 85]، أما في سورة العنكبوت فقد أشارت إلى هجرة
 المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [سورة العنكبوت: 56].

ثانياً: افتتاحية السورتين، افتتحت سورة القصص بذكر العديد من الامتحانات التي مر بها بنو إسرائيل ونبينهم
 موسى عليه السلام، من قبل فرعون، إمتحاناً لهم على صبرهم، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ
 ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ [سورة القصص: 2-3]. وتمثلت هذه
 الابتلاءات بعدة أمور¹ مُجْمَلَةً فيما يلي:

- ابتلاء بني اسرائيل بذبح أبنائهم وصبرهم على ذلك: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا
 يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: 4].
 - ابتلاء أم موسى بفراق طفلها، وصبرها على ذلك فرده الله إليها عندما حرم عليه المراضع².
 - ابتلاء موسى عليه السلام بقتله القبطي خطأً، فخرج خائفاً يترقب، ولكن الله نجاه، ورده إلى موطنه مرسلأ³.
- كما ذكرت السورة ابتلاء قارون بالمال والعلم فنته، ولكنه افتتن بذلك فعلاً، فخسف الله به وبداره الأرض⁴

¹ أنظر، الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ت: 708هـ، "البرهان في تناسب سور القرآن"، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون
 الإسلامية -المغرب، 1410هـ-1990م، ص270.

² الآيات (87-13).

³ الآيات (15-25).

⁴ الآيات (76-81).

وأما سورة العنكبوت فقد افتتحت بقوله تعالى: ﴿الْعَنكبوتِ ١ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿العنكبوت: 1-3﴾، فتناسبت الآيات؛ إذ بينت أن الابتلاءات إنما هي من سنن الله في الأرض امتحاناً لعباده ليميزهم ويُقيم الحجة عليهم.

ثالثاً: خاتمة سورة القصص مع افتتاحية العنكبوت:

خُتِمَتِ سُورَةُ الْقَصَصِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص: 85]، والمراد: أَنَّ الله سيرد نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم إلى مكة منتصراً على المشركين، والأمر بالرجوع الى مكة يحتمل القتال وما فيه من مشاق، وهذا الأمر شق على البعض، فناسب ذلك قوله في بداية العنكبوت ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: 2]،¹ وهناك ربط آخر، في قوله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص: 87]؛ أن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله والدعوة قد يتخللها قتال وجهاد فشق ذلك على البعض، فناسب ذلك السياق، أن يعقبه في بداية العنكبوت، بقوله: ﴿أَحْسِبَ

النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة العنكبوت: 2]²

3- خاتمة سورة القصص مع خاتمة سورة العنكبوت:

خُتِمَتِ سُورَةُ الْقَصَصِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا

¹ أنظر، الرازي، "التفسير الكبير"، ج 25، ص 23.

² أنظر المرجع السابق، ج 25، ص 23.

تَكُونَتْ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا

تَكُونَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ

الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ [سورة القصص: 85-88]، في الآيات أمر من الله لنبيه والمؤمنين بإخلاص العبودية

والدعوة إلى الله التي تحتاج إلى جهاد النفس، وجهاد الكفار، وكل ذلك من الإيمان، وجاء في خاتمة سورة

العنكبوت قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة

العنكبوت: 69]. وعد من الله لمن جاهد في سبيله أن يجزيه المعية والقربة إضافة لحسناته¹.

من خلال ما سبق يتبين لنا أثر السياق القرآني في توجيه المناسبات وإبرازها، وإظهار ذلك الترابط الفريد الذي

لا يستطيعه بشر، ليثبت إعجاز هذا الكتاب الكريم، ويبرز جماله ويخرج كنوزه، ليهدي الضالين، ويزيد

المؤمنين إيماناً وعلماً.

¹ المرجع السابق، ج25، ص77.

المبحث الرابع: أثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي من خلال سورة القصص

لقد تم الحديث عن المتشابه اللفظي في الدراسة النظرية وعلاقته بالسياق، فلكل دوره في إظهار الآخر، ولكل دور في الكشف عن أسرار المعاني التي تثبت إعجاز القرآن، وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن أثر السياق في المتشابه اللفظي في سورة القصص.

المطلب الأول: التكرار في القرآن والحكمة منه

قبل الحديث عن المتشابه اللفظي في سورة القصص لا بدّ من الإشارة إلى مسألة التكرار في القرآن، لأنّ المتشابه اللفظي في الظاهر أنه تكرر، وقد أثرت شبهات حول القرآن بسبب ذلك، فكان من الضروري التعرض لهذه المسألة للرد على هذه الشبهة، ومن ثمّ يكتمل الرد عند عرض المتشابه اللفظي في سورة القصص وبيان الإعجاز في مناسبة ذلك لسياق السور وغيرها من الأسرار.

أولاً: معنى التكرار

التكرار هو الرجوع إلى الأمر بعد المرة الأولى¹ وهو: إعادة الشيء مرة بعد أخرى² أو هو الإتيان بالأمر مرة بعد أخرى³، أما تعريفه اصطلاحاً: بعد البحث والاطلاع على أقوال العلماء، وجدت أقربها "التكرار: دلالة اللفظ على المعنى مردداً"⁴، ويقسم إلى تكرر في اللفظ والمعنى، وتكرر في المعنى دون اللفظ⁵، وهو في القرآن: الآيات المتشابهات التي تتكرر في ألفاظها ومعانيها كما هي أو بنظم مختلف مع زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير وغيره مما يوجب الاختلاف⁶.

¹ أنظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، ج، ص126.

² أنظر، ابن منظور، جمال الدين، ت:711هـ، "لسان العرب"، دار صادر - بيروت، ط3، ج5، ص135.

³ أنظر، الجرجاني، "التعريفات"، ج1، ص65.

⁴ ابن الأثير، ضياء الدين، ت:637، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ج3، ص3.

⁵ المصدر السابق، ج3، ص293.

⁶ أنظر، الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، 505هـ، "أسرار التكرار في القرآن"، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، ص63.

ثانياً: الحكمة من التكرار

إن قضية التكرار، من الأمور التي أثارت جدلاً، وجعلت المشككين يثيرون شبهات حول القرآن، وخاصة فيما يتعلق بجانب القصص القرآني، فقد بينوا أن التكرار في القرآن يدل على فساد نظمه، فالقصة تكرر بعينها مرة بعد مرة وكذلك الألفاظ والكلمات تكررت بعينها مرات عدة، مما يدل على ضعف في اللغة وحشو للكلام بما لا فائدة منه¹، وقد تصدى العلماء لهذه الشبهات وردوا عليها وبينوا بطلان تلك الدعوات، فقد جاءت أساليب القرآن بما جرت عليه عاداتهم، ومن ذلك التأكيد والتكرار²، ولكن هذا التكرار أبلغ في القرآن وأفصح، فهذا التكرار، وخاصة في القصص، عند التأمل في كل حلقة تكررت فإنه يختلف في طريقة الأداء بما يناسب السياق، وفي كل حلقة هناك فائدة جديدة وإضافة جديدة تؤديه، وهذا يؤكد أنه لا تكرار في القرآن بالمعنى الذي يذكرونه³، يقول محمد رشيد رضا "ومن سنة القرآن أن يتضمن التكرار للقصص فوائد في كل منها لا توجد في الأخرى من غير تعارض في المجموع"⁴، فلا تكرار في القرآن بالمعنى الذي عرضه المشككون في كتاب الله، فالتكرار غير مقصود، والتكرار لا يأتي في القرآن إلا ومعه فائدة جديدة وبيان وحجة، وللتكرار حكماً جليلاً نعرض بعضاً منها:

- 1- إن كل قصة ترد في موضع بألفاظ وفائد جديدة، ونظم جديد يختلف عن غيرها من المواضع، وتكرارها فيه تأكيد للحجة، والموعظة لما فيه من تكرار الدلائل⁵.
- 2- إن التكرار فيه مبالغة في القصص، والتحذير، وأخذ العبرة⁶.

¹ أنظر، الباقلائي، أبو بكر، "إعجاز القرآن"، تحقيق: السيد أحمد صفير، دار المعارف - مصر، ط5، 1997م، ج2، ص800.

² أنظر، الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج2، ص384.

³ أنظر، قطب، "في ظلال القرآن"، ج1، ص55.

⁴ أنظر، رشيد رضا، "تفسير المنار"، ج8، ص308.

⁵ أنظر، السمر قندي، "بحر العلوم"، ج2، ص412.

⁶ أنظر، البليبيسي، أبو العباس، ت:830هـ، "تكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد"، وتحقيق: الأستاذ محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية، ط1، 1429هـ-2008م، ج1، ص141.

3- إن التكرار فيه إعجاز في التعبير (الإعجاز البياني) فيما يناسب المقام، فلكل مقام مقال، وذلك باختيار الألفاظ التي تناسب السياق والموقف¹.

4- فيه اظهار لإعجاز القرآن وصدقته، كونه من عند الله، فقد عجزت العرب عن الإتيان بمثله، بنظمه وأساليبه، فالعرب كانت تأتي بالقصة مكررة بألفاظ مختلفة ولكن يظهر في ذلك التفاوت وتباين الوجوه، دون ظهور للفصاحة والبلاغة، كما أسلوب القرآن، فالقصة الواحدة في القرآن يعاد تكرارها بألفاظ مختلفة بدون تفاوت ولا تناقض في نهاية من البلاغة والبراعة وهذا لا يستطيعه بشر².

5- ومن فوائد التكرار أيضا في القرآن، الدلالة على أهمية الأمر المكرر، فالتكرار يدل على العناية به لتثبيته في القلوب³.

مما سبق يتبين أن شبهة التكرار باطلة في القرآن، وأن كل لفظ يكون بما يناسب السياق الذي عرض فيه، فالسياق هو الذي يحدد المغزى من التكرار، وخلاصة الأمر كما قال ابن تيمية "وليس في القرآن تكرار محض بل لا بد من فوائد في كل خطاب"⁴، ومما يزيد في إثبات بطلان ادعاء المشككين، الأمثلة التطبيقية التي ستعرض في البحث على سورة القصص، فكل ما ورد في سورة القصص من التكرار والتشابه مع السور الأخرى، يحمل كل الحكمة، فالتكرار في قصة موسى وفرعون في سورة القصص صيغ بأسلوب مختلف كل الاختلاف عن السور الأخرى من غير تناقض ولا تنافر، وهذا ما سيظهر من خلال عرض المتشابه اللفظي في سورة القصص مع غيرها وهو المطلوب الآتي.

¹ أنظر، المراغي، "تفسير المراغي"، ج30، ص145.

² أنظر، الباقلاني، "إعجاز القرآن"، ج1، ص38.

³ أنظر، العثيمين، محمد بن صالح، ت: 1421هـ، "تفسير الفاتحة والبقرة"، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ، المقدمة، ص59.

⁴ ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ج14، ص408.

المطلب الثالث: المتشابه اللفظي الوارد في آيات سورة القصص مع غيرها من الآيات

تزخر سورة القصص بالكثير من المتشابه اللفظي، وأعرض بعض هذا المتشابه، لتتضح صورة دور السياق في توجيه هذا المتشابه، مما يظهر الإعجاز البلاغي والبياني في هذا الأمر:

1- قوله تعالى: ﴿يَذِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص:4]، وقوله

تعالى: ﴿يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [سورة الأعراف:141]، في القصص قال

(يذبحون)، أما في الأعراف فقال (يقتلون).

التوجيه: تقدم سابقاً أن القرآن يذكر أطراف القصة في مواضع مختلفة بنظم مختلفة دون حصول تناقض مع الحفاظ على المعنى المحكي، فعندما عبر بكلمة يذبح مرة ويقتل مرة لم يختل المعنى، فالقتل أخذ أكثر من صورة لعدل على أنهم تعرضوا للتقتيل، كما تعرضوا أيضاً للذبح²، والذبح فيه مبالغة لكثرة الذبح، فالذبح فيه إراقة الدم، ولكن القتل قد يكون فيه ذلك أو لا يكون، فالقتل قد يحصل بالخنق أو الإغراق أو غيره، ولا يشترط فيه إراقة الدم، فكأن الصورة اتضحت عندما تكررت القصة بأكثر من لفظ لتبين أشكال الانتقام الذي فعله فرعون ببني إسرائيل، وهنا ناسب ذكر الذبح في سياق السورة، فقد قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَوُكِّدَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [سورة القصص:6]، ما

يحذرون أي ما يخافون، وقصد هنا النبوءة التي تنبأ بها الكهنة من رؤيا فرعون أن ناراً تخرج من بيت المقدس، تأكل ملكه، وقد أخبروه أنّ مولوداً من بني اسرائيل سيسلب ملكه، فأمر بقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل³، ولما كان الذبح فيه إراقة الدم، وهو عادة يتم بقطع الشرايين، ففيه تأكيداً للقتل والموت، ولما كان فرعون حريصاً على ملكه، حرص كل الحرص على قتل كل ذكر من بني اسرائيل، فأمر بالذبح للتأكد من موت كل طفل، فلو تحصل القتل بالخنق أو بالإغراق فإنّ هناك احتمالاً للنجاة، فناسب اللفظ السياق.

¹ أنظر، الشعراوي، "تفسير الشعراوي"، ج17، ص10875.

² أنظر المصدر السابق، ج7، ص4334.

³ أنظر، الطبري، محمد بن جرير، "تاريخ الطبري"، دار التراث - بيروت، ط2، - 1387 هـ، ج1، ص388.

2- قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [سورة القصص:13]، وقوله: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ

عَيْنُهَا﴾ [سورة طه:40]، قال في القصص (فرددناه)، أما في طه قال (فرجعناك).

التوجيه: إن الردَّ والرجعَ فيهما اشتراك في أن كليهما فيه عودة، ولكن كل منهما يحمل معنى مختلفاً عن الآخر، فقد عبر الاختلاف في اللفظ عن اختلاف الحالة في العودة، فالرد على الشيء يحتمل معنى كراهة المردود، ففيه ثقل في الرجوع، ولذلك نقول إرتد فلان عن الاسلام ولا نقول رجع لما في هذا الأمر من كراهة¹، ويقول تعالى: ﴿يُرْدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾^(١٧)، ففيه كراهة العذاب، وهذا ما كان في سورة القصص فقد كانت الآية في سياق الخطاب عن أم موسى عندما كرهت وثقل عليها أن يرجع إليها ابنها، بعد أن ألقته في اليم، خوفاً من أن يقتله جنود فرعون بين يديها، وهي في نفس الوقت مُحَبَّةٌ لإرضاعه، فناسب اللفظ السياق، على خلاف قوله: (فرجعناك) في طه، حيث كان الخطاب لموسى عليه السلام، يُذِّكِرُه عندما رجع إلى حضن أمه وهو في سعادة، ولفظ الرجوع ألطف، فيه خفة ولطف، والرجوع هو العودة إلى الحال السابقة، فناسب اللفظ السياق².

3- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:14]،

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف:22]،

ذكر كلمة (فاستوى) في سورة القصص بينما لم تذكر في يوسف.

¹ أنظر، ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة (رَدَّ)، ج2، ص386.

² أنظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص534. أنظر، الكرمانلي، محمود بن حمزة بن نصر، ت: 505هـ، "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، دت، ج1، ص174. ابو يحيى، زكريا الأنصاري، ت: 926هـ، "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، 1403هـ-1983م، ج1، ص365.

التوجيه: الأشدُّ هو وقت استكمال القوة، وهو بلوغ سن التكليف إلى أن يصل إلى الأربعين¹، والاستواء هو بلوغ الأربعين²، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [سورة الأحقاف:15]. وإذا قابلناها مع الآية: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [سورة القصص:14] تبين معنى الاستواء أنه بلوغ الأربعين، أما لماذا ذكر الاستواء في حق موسى ولم يذكره في حق يوسف، فذلك أن يوسف عليه السلام نُبِّه على ما يراد من الرسالة قبل بلوغ الأربعين، وذلك عند رؤيته للشمس والقمر والكواكب له ساجدين، وما أوحى إليه عندما أُلقي في الجب، وما ألهمه في تأويل الرؤى، وهذا كله قد تحدث عنه سياق السورة، أما موسى عليه السلام فقد بُلِّغ بالرسالة، بعد بلوغ الأربعين³، وهناك توجيه آخر وهو أن الاستواء فيه كمال البنية، والأشدُّ كمال القوة، فوصف موسى ببلوغ الأشد والاستواء فقد كان رجلاً طويلاً، كامل الأعضاء، وُصِف وتميَّز بقوته، وهذا ما بيَّنه سياق الآيات في السورة حيث وكز القبطي ففضى عليه، وعندما قالت إحدى الفتيات لأبيها: ﴿يَتَّابَتِ اسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [سورة القصص:26]⁴، فكان في السياق إشارات تبين المغزى من ذكر كلمة الاستواء في موضع وحذفها في موضع آخر.

4- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [سورة القصص:20]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة يس:20]، اختلف الترتيب، فجاء في سورة القصص على الترتيب المعهود

¹ أنظر، ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة (شَدَّ) ج3، ص179. أنظر، الراغب، "المفردات في غريب القرآن"، ج1، ص447. الرازي، "التفسير الكبير"، ج18، ص436. الشوكاني، "فتح القدير"، ج2، ص202.

² أنظر، النحاس، أبو جعفر، ت:338هـ، "معاني القرآن"، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط1، 1409، ج5، ص164.

³ أنظر، الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت:420هـ، "درة التنزيل وغرة التأويل"، تحقيق: د محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط1، 1422هـ-2001م، ج2، ص298. انظر، الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ج1، ص148.

⁴ أنظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص87.

للجملة فجاء الفعل (جاء) وبعده الفاعل (رجل)، أما في سورة يس فاختلف الترتيب، فقد فصلت شبه الجملة من الجار والمجرور (من أقصى) بين الفعل والفاعل، وهذا خلاف الأصل.

التوجيه: إن التقديم للجار والمجرور في سورة يس فيه تبيكيت للقوم، فقد جاء الرجل الناصح لهم من مكان بعيد في المدينة، على الرغم من عدم حضوره لما شهده القوم من الآيات والنذر، وهذا مدعاة للتعجب من أمرهم، ثم إن الآية سبقها ما يدل على سوء معاملة أهل المدينة للرسول، فكان مظنة أن المدينة كلها بهذه الصفة، وأنه لا يوجد فيها منبت خير، لذلك قدم ما تشتمل عليه المدينة (أقصى المدينة) فدلّ على أنّ الأطراف فيها خير، أما في سورة القصص فلم تكن حاجة للتبيكيت فجاء الترتيب على الأصل، ثم هناك توجيه آخر وهو: أنّ الآية في سورة القصص سبقها الحديث عن رجلين يقتتلين في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [سورة القصص:15]، ثم جاءت هذه الآية وبيّنت أن رجلاً آخر جاء موسى ناصحاً، أما سورة يس فقد سبق الآية فيها الحديث عن أهل القرية (هم أنفسهم أهل المدينة) الذين كذبوا الرسول فجاء من خارج هذه القرية رجل يسعى¹.

5- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة القصص:29]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَعَاتِكُمْ مِّنْهَا يُخْبِرُ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة النمل:7]، في القصص قال (امكثوا) ولم يرد ذلك في النمل، في القصص قال (لعلي آتاكم)، في النمل (سأتكم)، وقال في القصص (بخبرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ)، أما في النمل فقال (بشهاب قبس) فاختلف النظم في الآيتين في الزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والتعويض.

¹ أنظر، الكرمانى، "البرهان في توجيه متشابه القرآن"، ج1، ص194. انظر، الغرناطى، أحمد بن إبراهيم، ت:708هـ، "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل"، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ت، ج2، ص383. ابن عاشور، التحرير والتوير، ج22، ص365.

التوجيه: قوله (امكثوا) في سورة القصص ناسب السياق حيث سبق ذلك قوله "وسار بأهله" فناسب أن يقول امكثوا أي عن السير، ثم الزيادة ناسبت مقام التفصيل الذي بني عليه سياق القصص في تفصيل قصة موسى، وكذلك الأمر بالنسبة لزيادة (من جانب الطور)، ناسبت الزيادة مقام التفصيل، وأما قوله (لعلي آتيكم) في القصص (لعلي) تفيد الترجي، ذكرت في سياق الخوف، فسورة القصص يغلب عليها جو الخوف كما ذكرنا، فموسى خائف ولم يكن واثقاً من نفسه فقال: لعلي، ناسب اللفظ مقام الخوف، أما في النمل فقال (سآتيكم) فكان واثقاً ولم يكن في السورة ذكر للخوف كما القصص، فكرر لفظ (آتيكم) في النمل في سياق الثقة، فالتوكيد يدل على القوة، فسورة النمل ذكر فيها ما يناسب مقام التكريم لموسى عليه السلام، فهذا ما غلب على سياقها، وأما قوله (جذوة) في القصص، وقوله (شهاب قيس)، فلمناسبة السياق، فالجذوة هي الجمرة أو القبسة من النار أو ما تبقى من الحطب المشتعل، ويطلق أيضاً على العود المشتعل بلا لهب¹، أما شهاب قيس هو شعلة نار مقتبسة من النار، والشهاب أفضل من الجذوة لأن فيه دفئاً أكبر فهو لهيب ساطع، وأنفع في الإنارة، ثم قال (شهاباً قيساً) للتأكيد على أنه مقبوس من النار، فالشهاب قد يكون مقبوساً من النار أو لا يكون، وهذا فيه إشارة إلى القوة والثقة والثبات، لما يناسب المقام لسورة النمل، أما القصص، ذكر أنه ربما يأتي بجذوة (جمرة) من النار دون أن يقول أنه سيقبصها من نار، وهذا مناسب لسياق السورة في مقام الخوف².

6- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِي الْأَوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ

يَلْمُوسَىٰ إِنَّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ [سورة القصص: 30]، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي

النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ [سورة النمل: 8]، قال سبحانه في القصص: فلما (أتاها)

¹ أنظر، الفراهيدي، "العين"، باب (جنو)، ج6، ص171. الجوهري، "الصحاح"، باب (جذو)، ج6، ص2300.

² أنظر، ابن جماعة، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم، ت: 733هـ، "كشف المعاني في المتشابه من المثاني" تحقيق: عبدالجواد خلف، دار الوفاء - المنصورة، ط1، 1410هـ-1990م، ج1، ص285. انظر، السامرائي، فاضل بن صالح، "لمسات بيانية في نصوص التنزيل"، دار عمار للنشر والتوزيع عمان - الاردن، ط3، 1423هـ-2003م، ج1، ص93-96. أنظر، النحاس، "معاني القرآن"، ج5، ص177.

وقال في النمل فلما (جاءها). في القصص بيّن جهة النداء (من شاطئ الواد الأيمن) ولم يذكر الجهة في النمل.

التوجيه: الاتيان هو المجيء بسهولة، ولذلك يقال أنت لهذا الماء، أي: سهّل جريه¹، ونقول تأتي له الشيء أي تهباً (تأتي له) أي ترفق، وأتاه من وجهه². والمجيء كالإتيان ولكنه أعم منه، وفيه صعوبة ومشقة، ومما يدل على ذلك استعمال القرآن لكلمة المجيء لما فيه صعوبة ومشقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرُؤُ

الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۗ﴾ [سورة ق: 19]، وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۗ﴾ [سورة الكهف: 74]، وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ

الصَّخَاةُ ۗ﴾ [سورة عبس: 33-34]، وغيرها من المواضع، وكذلك الأمر بالنسبة

للفعل (أتى) ورد في سور القرآن في موضع السهولة، و قوله في سورة القصص (أتاها) ناسب السهولة فيما

قطعه موسى عليه السلام على نفسه، فقد قال لهم: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾، أما

في سورة النمل فكانت مهمته أصعب، فقد وعدهم أنه سيأتيهم بشهاب قبس من النار، وليس بجمرة كما في

القصص، فناسب اللفظ الذي فيه سهولة الموقف السهل في القصص، وناسب اللفظ الذي فيه صعوبة المقام

الأصعب في النمل. وهناك توجيه آخر وهو مناسبة اللفظة لسياق الآيات، فقد ذكرت الآيات في سورة

القصص أن موسى عليه السلام مكلف بتبليغ رسالة ربه إلى فرعون وملئه؛ أما في النمل فنذكرت أن مهمته

تبليغ فرعون وقومه، ودائرة القوم أوسع من دائرة الملأ، وهذا أصعب، وأما ذكره لجهة النداء في القصص

وعدم ذلك في النمل فلأن القصص في مقام التفصيل كما تقدم³.

7- قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبِلْ

وَلَا تَخَفْ ۗ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ۗ﴾ [سورة القصص: 31]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا

¹ أنظر، ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة (أتي)، ج1، ص51.

² أنظر، الرازي، "مختار الصحاح"، مادة(أتي)، ج1، ص13.

³ أنظر، السامرائي، "المسات بيانية في نصوص التنزيل"، ج1، ص105.

جَانٌّ وَلَىٰ مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا يَخَفُ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ [سورة النمل:10]، في القصص قال (وأن ألق) وأما في النمل فقال (ألق) بدون أن ، وفي القصص (أقبل ولا تخف)، وفي النمل (لا تخف) بدون أقبل، في القصص (إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِينَ)، وفي النمل (إني لا يخاف لدي المرسلون).

التوجيه: في سورة النمل قال (ألق) بدون (أن)؛ لأن الآيه السابقة ذكر فيها فعل بعد (أن) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ ﴿٨﴾ [سورة النمل:8]، فحسن عطف الفعل عليه، أما في القصص فلم يسبق الآية فعل بعد (أن)، إذ قال تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ [سورة القصص:30]، فناسب ذكر (أن ألق)¹، لتكون معطوفة على جملة أن يا موسى. وهناك توجيه آخر: أنه قال في النمل (ألق) بشكل مباشر فهو قول مباشر من الله، وفيه دلالة على التكريم لموسى عليه السلام ، وهذا مناسب لسياق السورة إذ المقام مقام تكريم لموسى، أما في القصص جاء الأمر بأن المصدرية، (أن ألق) وتسمى أيضاً أن المفسرة، وتعني: أنه ناداه بما تفسيره هذا، ففصل بين المنادي والمنادى بما يشعر بالبعد، وهذا مناسب لسياق الخوف من موسى لما حصل ، وسورة القصص كانت في مقام الخوف²، ثم في قوله (أقبل ولا تخف) بزيادة أقبل في القصص، وذلك أن القصص في مقام التفصيل، بخلاف النمل فهي في مقام الإيجاز لقصة موسى، ثم إن القصص قد غلبت عليها أجواء الخوف، وهنا رسمت صورة ذهنية بأن موسى أوغل في الهرب، فدعاه أن أقبل ولا تخف، لذلك قال ايضاً: "إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِينَ" زيادة في الأمن، فالخائف بحاجة إلى الأمان، فأمنه، أما في النمل فكانت في مقام التكريم لموسى عليه السلام فقال: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ فهو من المرسلين، وهذا تكريم، إضافة إلى قوله لدي التي تشعر بالقرب، وهذا كله يناسب مقام التكريم، بخلاف مقام الخوف في القصص³.

¹ أنظر، أبو يحيى، "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"، ج1، ص419.

² أنظر، السامرائي، "مسات بيانية"، ج1، ص108.

³ المصدر السابق، ج1، ص109.

8- قوله تعالى: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ط

فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِيئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ [سورة القصص: 32]،

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ [سورة النمل: 12]، قوله في القصص (أَسْأَلُكَ) وفي النمل (أَدْخَلَ)، في القصص (برهانان) في

النمل (تسع آيات).

التوجيه: ذكر في القصص (أَسْأَلُكَ)، وفي النمل (أَدْخَلَ)، وذلك أن الإدخال أبلغ من السلوك، فماضيه أكثر

حروفاً من ماضي السلوك، فناسب اللفظ (أَدْخَلَ) كثرة الآيات التي ذكرت في الآية ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ

وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ [سورة النمل: 12]، أما (أَسْأَلُكَ) فماضيه أقل حروفاً، فناسب قلة الآيات المذكورة

في القصص ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ ﴿٣٢﴾¹، ثم إن السلوك يكون في السبل، يقال سلك الطريق والمكان سلكاً،

والسلك أيضاً الإدخال، يقول تعالى: ﴿فَسَلِّكَهُ يَتَّبِعَ ﴿٢١﴾ [سورة الزمر: 21]، أي أدخله الى ينابيع الأرض²،

فاللغة تحتل معنى الإدخال وعدمه، وهذه اللفظة ناسبت سياق سورة القصص، وذلك أن الحديث عن سلوك

الطرق في قصة موسى عليه السلام قد تكرر في السورة، ابتداءً من ذهاب أخته لتقص أثره، ثم ذهاب موسى

إلى مدين، ثم ذهابه إلى العبد الصالح في مدين، ثم سيره في أهله إلى مصر، فكل ذلك يحتاج إلى سلوك

الطرق، فناسب ذكر لفظة السلوك، بخلاف سورة النمل التي لم يذكر أي سلوك فيها، فقد بدأت قصة موسى

عليه السلام بقوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سآتئكم منهنها بخبر أو آتئكم بشهاب قبس لعلكم

تصطلون ﴿٧﴾ [سورة النمل: 7]. الأمر الآخر أن لفظة (السلك)، تحتل معنى الإدخال فقد يكون ادخالاً وقد لا

يكون، فالإدخال أخص من السلوك، والادخال يكون فيه مشقة أكثر من السلوك، يقول تعالى: ﴿فَأَسْأَلُكَ

¹ أنظر، ابو يحيى، "فتح الرحمن يكشف ما يلبس في القرآن"، ج1، ص420.

² أنظر، ابن منظور، "لسان العرب"، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ، ج10، ص442.

سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا ﴿٦٩﴾ [سورة النحل: 69]. فناسب لفظ السلوك سياق الآية حيث ذكر فيها تكليف موسى عليه السلام بتبليغ الرسالة لفرعون وملئه، وهو أسهل من التبليغ في النمل إلى فرعون وقومه، لذلك أيضاً كانت الآيات تسعة في النمل أكثر من القصص (برهانان) لأن المهمة أصعب في النمل، وكما أن الشهاب القبس في النمل، كان أخص من (الجدوة) في القصص؛ كان (الإدخال) في النمل أخص من (السلوك) في القصص¹.

9- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [سورة القصص: 59]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [سورة هود: 117]، قال في القصص (مهلك) اسم فاعل، وفي هود (ليهلك) بصيغة الفعل.

التوجيه: عند النظر في سياق الآيتين نجد أن الآية التي في هود جاءت في سياق التنزيه لله سبحانه عن الظلم، فالآية السابقة لها: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: 116]، ثم قال بعدها: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ﴾، باستخدام صيغة المضارع الذي يدل على الاستمرارية والتكرار، وأدخلت عليه لام الجحود التي تقع بعد المنفي وهذا فيه تأكيد للنفي حيث يفيد النفي هنا نفي الظلم عن كل الأزمنة (الماضي والحاضر والمستقبل)، وهذا فيه مبالغة في نفي الظلم عن الله سبحانه (استخدم اللفظ الأبلغ في النفي)، ثم ذكر كلمة (بظلم) وهي هنا حال، والمعنى أنه من الاستحالة أن يهلك الله القرى ظالماً لها، فلفظ (بظلم) ناسبه أن يأتي باللفظ الأبلغ في نفيه وهو (ليهلك)، وهذا خلافاً للقصص، فقد جاء التعبير

¹ أنظر، السامرائي، "المسات بيانية"، ص 111-112.

بالاسم (مهلك) الذي يدل على الثبات، ويختص بزمن معين، فلم يرد في الآية لفظ الظلم، ولم يكن منسوباً إلى الله، فلم تكن حاجة إلى النفي الموجود في هود¹.

10- قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا

تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ [سورة القصص:60]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ [سورة الشورى:36]، حذف كلمة (وزينتها) في سورة الشورى.

التوجيه: الآية في سورة القصص، كانت في سياق الحديث عن جميع ما يبسط فيه الرزق، لذلك عبر بقوله (المتاع والزينة)، فهذا يشمل كل ما يحتاجه الانسان في هذه الحياة من الأمور الضرورية، كالملبس والمأكل والمشرب وغيرها من الضروريات، وهذا يسمى (المتاع)، وغير الضرورية كالملابس الفاخرة والآلات الحسنة والخدم وغيرها من الأمور الزائدة عن الحاجة الضرورية، وتسمى (الزينة)، أما في الشورى فلم يقصد استيعاب كل ذلك فكان السياق يتحدث عن مطلوبهم في تلك الحال من النجاة والأمن فلم يكن حاجة لذكر الزينة،² ثم هناك أمر آخر وهو مناسبة الآية لسياقها، أنظر ففي سورة القصص ورد ذكر لقصة قارون الذي فتن بزينة المال، وجدد واستكبر قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ [سورة القصص:79]، فناسب ذكر الزينة، لتحذير المسلم من الدنيا وزينتها كما حصل مع قارون؛ أما سورة الشورى فلم يرد في سياقها ذكر الدنيا وزينتها بل تحدثت عن الرزق في هذه الدنيا، وأخبرت أنه غير مبسوط، وتقدمها الحديث عن نعم الله على عباده المؤمنين، فهم يؤمنون بالآخرة ولا يغترون بالدنيا ومتاعها، فناسب عدم ذكر الزينة³.

¹ أنظر، الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج2، ص783. انظر، الزمخشري، "الكشاف"، ج3، ص424.

² انظر، الاسكافي، "درة التنزيل"، ج1، ص987. انظر، الكرمانلي، "البرهان في توجيه متشابه القرآن" ج1، ص196.

³ - انظر، الغرناطي، "ملاك التأويل"، ج2، ص384.

وهكذا نرى دور السياق في توجيه المتشابه اللفظي، من خلال ربط الآيات بالسابق واللاحق فيها، وربطها بسياق السورة، والنظر في أساليب القرآن ومنهجه، ليتبين المعنى وينكشف عن الآيات ما يُحير القارئ فتتضح الصورة، وينكشف الأشكال، ويزيد الإيمان في قلب القارئ لما يظهر له من الإعجاز في هذا الكتاب العظيم.

المبحث الخامس: أثر السياق في مناسبة الفاصلة لما قبلها من الآية من خلال سورة

القصص

أولاً: تعريف الفاصلة

الفاصلة في اللغة:

الفصل ما يدل على تمييز الشيء وإبانته، يقال فصلت الشيء فصلاً، وكل ما يفصل بين شيئين، يسمى مفصل، فنقول مفصل العظام، ويطلق على اللسان مفصل لأن الأمور به تبان وتميز وتفصل، والمفصل ما بين الجبلين¹، وأواخر الآيات فواصل واحدها فاصلة². فالفاصلة هي ما يفصل بين أمرين، أو بين آيتين، تتميز كل منهما عن الأخرى.

الفاصلة في الاصطلاح³:

من خلال استقراء أقوال العلماء نجد أن هناك من فرق بين الفاصلة ورأس الآية وقال إن كل رأس آية فاصلة وليس العكس، بمعنى أن الفاصلة نهاية المقطع الخطابي (يتم عندها المعنى) سواء كانت رأس آية أم لا،

¹ أنظر، ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة (فَصَل)، ج4، ص505.

² أنظر، ابن منظور، "لسان العرب"، ج11، ص524.

³ تكلم العلماء عن الفاصلة القرآنية ورأس الآية في ثنايا كتبهم وكان الفراهيدي أول من فتح باب بيان تغير النظم واختلافه لمناسبة الفواصل، وكان يقصد برأس الآية والفاصلة أنهما بمعنى واحد، و تكلم الفراء في كتابه معاني القرآن عن ذلك، وأول من خصص باباً مستقلاً في هذه المسألة هو الزركشي في كتابه البرهان أواخر القرن الثامن الهجري، وما كان في كتابه هو تجميعات لأشتات كلام من تقدمه من العلماء (الزركشي، البرهان في علوم القرآن" ص53)، ثم تبعه السيوطي في كتابه الانتقان في علوم القرآن، (ص232)، ثم كانت مؤلفات مستقلة في هذه المسألة مثل كتاب (القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز) للمخللاتي وهو الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان المكنى بابي عيد توفي سنة 1311هـ، كتابه شرح لناظمة الزهر للشاطبي.

أما رأس الآية فهو نهايتها التي يوضع عندها رقم انتهاء الآية. مثل أبو عمرو الداني¹، والقطان² وهناك من لم يفرق بينهما وجعلهما أمراً واحداً وهو نهاية الآية عند الرقم، كالرمانى³، الزركشى⁴، السيوطي⁵، والزرقاني⁶.

والمقصود هنا في هذا المبحث هو نهاية الآية عند رقمها، فقد ختمت الآيات بما يناسب سياقها، وراعى المفسرون الربط بين الآيات وخواتيمها، فالمتدبر لكتاب الله يجد أن خواتيم الآيات مرتبط بسياقها، وبما جاءت به في التركيب والمعنى، والنظر في المناسبة بينهما يعين على الفهم والتأثر وتدبر البلاغة والحكمة في البناء المحكم لهذه الفواصل⁷، وفي هذا المبحث عرض لبعض الأمثلة في آيات سورة القصص التي تبين أثر السياق في توجيه مناسبة الفاصلة لما قبلها من الآية:

1- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [سورة القصص:2].

المعنى الإجمالي للآية: ختمت الآية بوصفها للقرآن بأنه مبين، والمبين هو الواضح الفصيح، الذي يكشف الأمور⁸، فالقرآن بيّن واضح، يكشف أمور الدين ويفصح عن أخبار الأولين، وقد بين سياق الآية ذلك، ففي آخر آية من سورة النمل قال: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [سورة النمل:93]، وكأن الله قد كشفها وبينها لهم في هذه الآيات التالية من سورة القصص فقد كشفت القصص خبايا وتفاصيل لم تذكرها سورة النمل من قصة موسى وفرعون، وكشفت الكثير من الأمور التي اختلف فيها بنو اسرائيل، أنظر لسياق الآيات التالية: ﴿تَنَلُّوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِّأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة القصص:3]، فهذه الآية وما تبعها

¹ ابو عمرو الداني، عثمان بن سعيد، "البيان في عد آي القرآن"، محقق غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت، 1414هـ - 1994م، ط1، ص126.

² القطان، مناع بن خليل، "مباحث في علوم القرآن"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421، ص153.

³ الرمانى، ابي الحسن على بن عيسى، "النكت في اعجاز القرآن"، مكتبة الجامعة المليية الاسلامية - دلهي، 1934م، ص19.

⁴ الزركشى، "البرهان في علوم القرآن"، ص 53-54.

⁵ السيوطي، "الاتقان في علوم القرآن"، ج3، ص332.

⁶ الزرقاني، "مناهل العرفان"، ج1، ص341-342.

⁷ أنظر الرمانى، "النكت في اعجاز القرآن"، ص20.

⁸ أنظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص327، انظر الفيروز آبادي، مجد الدين، ت:817هـ، "القاموس المحيط"، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 1426-2005م، ج1، ص1182.

بيّنت هذه القصة بتفاصيل جديدة، فهذا دليل على أنه مبين¹. وذكر الزمخشري تعليلاً آخر وهو أن هذه السورة مكية، نزلت قبل الهجرة، فجاءت اللفظة مناسبة لتلك الفترة فلو قال (حكيم) بدل (مبين) فكيف لهم أن يعرفوا حكمته، أو عزيز، فسينكرون ذلك، ولكن قال مبين وهم بفصاحتهم لا يستطيعون انكار إبانة القرآن، فقد وصفه بصفة يعرفونها أكثر من غيرهم لما اشتهروا به من الفصاحة والبلاغة. فهي واضحة لهم لا تشبهه معانيه عليهم، فقد نزلت آياته بلسانهم².

2- قوله تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة القصص:3]. إنتهت الآية بقوله (لقوم يؤمنون).

المعنى الإجمالي للآيات: السياق في خطاب المؤمنين، فقد قال تعالى: "تتلوا عليك" أي يا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني ومن معك من المؤمنين، فقد خصّ الله التلاوة هنا في المؤمنين، وذلك لأن إيمانهم يدفعهم إلى تدبر هذه الآيات والوقوف على العبر فيها، فيتعظون ويزدادون إيماناً مع إيمانهم، فيعمهم الخير، فاللام هنا لام التعليل، أي أن هذه الآيات نتلوها عليك من أجل ان ينتفع بها المؤمنون، فهم بسبب إيمانهم متشوقون إلى أمثال هذه القصص ليزدادوا يقيناً.

علاقة الفاصلة بما قبلها: لما كانت هذه الآيات للتلاوة والتدبر، وهذا الأمر يحتاج إلى إيمان وشغف بالعلم، فقد خصت بالمؤمنين، أما غيرهم فلا يستفيد من هذه الآيات، وتكون حجة عليهم، فقد طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم وأصم آذانهم بسبب كبرهم وعنادهم وكفرهم³.

¹ انظر، البقاعي، "نظم الدرر"، ج14، ص235.

² أنظر، الزمخشري، "الكشاف"، ج2، ص440.

³ أنظر، السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ج1، ص611. ابن عاشور، "التحرير والتلوين"، ج20، ص64.

فقد كان عدوهم الذي أذهب ملك فرعون وأصبح بنوا إسرائيل هم الوارثين لأرضهم، ولأنهم تعمدوا ارتكاب تلك الآثام والأفعال؛ كان موسى عدواً وحرزاً لهم عقوبةً على تلك الذنوب العظيمة التي تعمدوها¹.

5- في قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [سورة القصص:13].

سياق الآية: بينت الآية، أن الله ردّ موسى عليه السلام إلى أمه بعد التقاط آل فرعون له من اليم، بعد أن أوحى إليها الله بأن تلقه في اليم حتى يقرّ الله عين أمه به، إذ سلّم من قتل فرعون له، حتى لا تحزن على فراقه، ولتعلم أن ما وعدها الله حق في قوله: ﴿إِنِّي فَرَعَوْتُ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْتُ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ

طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ [سورة القصص:4]²

توجيه مناسبة الفاصلة لما قبلها من الآية: ختمت الآية بقوله (أكثرهم لا يعلمون)، وفي الأمر عدة أوجه³:

1- قصدت الآية أكثر الناس في ذلك العهد وبعده أنهم لا يعلمون بسبب الإعراض عن النظر في آيات الله.

2- قصد به أهل مصر أنهم لا يعلمون، بوعد الله لأم موسى، برد ابنها إليها.

3- هو من التعريض بأم موسى، التي جزعت عند سماعها خبر التقاط الجنود لموسى، فأصبح فؤادها فارغاً.

4- إن أكثرهم لا يعلمون المقصود الأساسي من رد موسى إلى أمه، وهو الغرض الديني، أما ما كان من

أجل أمه كي تقر عينها ولا تحزن، فهو تبع.

5- إن أكثر الناس لا يعلمون حكمة الله ومراده في أفعاله، وعواقب هذه الأفعال، فعواقب الله في أفعاله

محمودة على المؤمن، حتى لو كان ظاهرها شراً، ولو كانت مكروهة للنفوس، يقول تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ

¹ أنظر، الزمخشري، الكشاف، ج3، ص395. الزحيلي، التفسير المنير، ج20، ص64.

² أنظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص535.

³ أنظر، الرازي، "التفسير الكبير"، ج24، ص583.

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٣١٦﴾ [سورة البقرة: 216].¹

6- إن أكثر الناس في ذلك الوقت لا يعلمون بهذا الوعد، ولا أن هذه أمه وهذه أخته.²

وهذه الوجوه لا تعارض بينها، فكلها موجودة في القصة وما دبّر الله بعلمه وحكمته لأم موسى هو تخطيط منه لهذه الأم المؤمنة، وتدبير لهذه الرسالة بأن تستمر على يد نبي من أنبياء الله، وكل تدبير الله خير ولو كان ظاهره شراً، فالمؤمن يستسلم لأمر الله ويصبر ويلتزم بأوامره؛ فإن العاقبة خير للمتقين.

6- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣١٦﴾﴾ [القصص: 16].

تحدث سياق الآية عن استغفار موسى عما فعله للقبطي الذي وكزه فمات، فقد قتله موسى خطأ، وقد أخبرت الآية عن ندمه على ما فعل، فقال (إني ظلمت نفسي)³، وانتهت الآية (باسماء الله: الغفور الرحيم)، وهذا مرتبط بسياق الآية؛ لأن موسى استغفر ربه من ذنبه، فجاء العطف بحرف الفاء (فغفر له)، وهي تدل على الترتيب والتعقيب مما يدل على سرعة استجابة الله له، ثم يأتي التعليل للجملة السابقة أي لأن الله غفور لمن تاب وعمل السوء بجهالة رحيم يتعطف بعباده،⁴ فقد جاءت الفاصلة مناسبة لسياق الآية.

7- قوله تعالى: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَاكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ

فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: 32]، انتهت

الآية بقوله (قوماً فاسقين)، ولم يقل كافرين أو مفسدين.

¹ انظر، المراغي، "تفسير المراغي"، ج20، ص41.

² انظر، الزحيلي، "التفسير المنير"، ج20، ص62.

³ انظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص541.

⁴ انظر، ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج20، ص92.

المعنى الاجمالي: عندما بُلِّغ موسى عليه السلام بالرسالة، وأخبره الله أنه مكلف بتبليغها إلى فرعون وقومه؛ كان لا بد من معجزات تؤيد صدقه، فأيدّه الله بمعجزات، ذكرت الآية معجزتين، وهما إدخال يده في جيبه تخرج بيضاء، وأمره أن يضم يده إلى صدره عند الخوف، ليذهب عنه ذلك، ثم قال إن فرعون وقومه قوماً فاسقين¹.

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية: لما كان الحديث عن الدعوة إلى الله، والايان بشرائعه، وموسى عليه السلام مكلف بدعة فرعون وملئه؛ ناسب أن يصفهم بالفسق، فالفاسق هو من ترك أمر الله، وخرج عن طاعته وفجر، ومال إلى المعصية²، فهم بعيدون كل البعد عن أوامر الله، خارجون عن طاعته، مخالفون لدينه، لذلك بعث لهم موسى عليه السلام لهدايتهم فيرجعوا إلى أمر الله وعبادته. أما عندما تحدث في آيات سابقة عن علو فرعون وما فعل في بني اسرائيل من السبي والتقتيل والتفريق؛ ناسب أن يصف فرعون بالمفسد فقال (إنه كان من المفسدين)، فكانت نهاية كل آية مناسبة لسياقها.

8- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [سورة القصص:42].

المعنى الإجمالي للآيات: بيّنت الآيات عقوبة فرعون وجنوده على ظلمهم واستكبارهم في الأرض وإنكارهم للبعث بأن لعنهم الله في الدنيا وأهلكهم غرقاً، وجعلهم في الآخرة من المقبوحين³.

مناسبة الفاصلة لموضوع الآيات السابقة: إنتهت الآية بقوله: (المقبوحين)، والقبح هو خلاف الحسن وضده، وقَبَحَ الله أي نحاه وأبعده عن الخير فهو من المقبوحين⁴، واستخدام هذه اللفظة يصور مدى القبح والتشنيع

¹ انظر، ابن كثير، "تفسير ابن كثير"، ج6، ص235.

² أنظر، الفراهيدي، "العين"، مادة (فَسَق)، ج5، ص82. الجوهري، "الصاحح"، مادة (فَسَق) ج4، ص1543. ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة(فسق)، ج4، ص502.

³ أنظر، المراغي، "تفسير المراغي"، ج20، ص60.

⁴ أنظر، الجوهري، "الصاحح"، ج1، ص393، مادة(قبح). ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة(قبح). ج5، ص47.

والفضيحة لهم يوم القيامة على ما فعلوه من استكبار وتطاؤل على الله، وقد عبر في الخاتمة بجملة اسمية (من المقبوحين)، لتدل على الديمومة والثبات، ففبح حالهم دائم يوم القيامة ملازم لهم ثابت على ذلك¹.

9- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ

وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالِمِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ [سورة القصص: 43].

المعنى الإجمالي: تذكر الآيات، أنّ الله أنزل التوراة بعدما أهلك فرعون ومن تقدمه من الأقبام (قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط)، فقد أنعم الله على نبيه موسى عليه السلام ليكون ذلك الكتاب مصدر إشعاع للحياة، ونوراً للقلوب، وهداية من الضلال والعمى، ورحمة لمن آمن به، ومرشداً إلى العمل الصالح، وهذه نعمة من الله لهم ليتقوى إيمانهم ويبقوا عليه في الدنيا، ويكون عندهم اليقين بثواب الآخرة².

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية: أخبرت الآية أنّ الله قد منّ على بني إسرائيل بنزول التوراة على موسى عليه السلام لتكون بصيرة لهم، وهداية لهم وحماية من الضلال، ونجاة من النار، ومعيناً لهم على الثبات على الإيمان، وهذه نعمة تستدعي تذكر ما حصل للأمم السابقة بسبب كفرهم، وأنّ تلك عاقبة الظالمين. وأما عاقبة موسى ومن معه فكانت عاقبة كريمة³، فمن تفكر زاد إيمانه وثبت على الحق.

¹ أنظر، ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج20، ص127.

² أنظر، القرطبي، تفسير القرطبي، ج13، ص291.

³ أنظر، قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2695.

10- قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة

القصص:44]، انتهت الآية بقوله (من الشاهدين).

المعنى الاجمالي للآية: الآية خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الله أنزل عليه آيات القرآن فيها خبر من سبقه من الأمم وقصصهم، فهذه قصة موسى مع فرعون يتلوها بتفاصيلها من دون أن يكون حاضراً للأحداث¹.

مناسبة الفاصلة بموضوع الآية: سياق الآية دليل على إثبات الوحي والرسالة وصدق النبي، فهو يتلو عليهم تفاصيل القصص من دون أن يشهد الأحداث، وهذا دليل على صدقه وصدق رسالته أنها وحي من عند الله، فناسب أن تنتهي بأنه لم يكن من الشاهدين نفياً لحضوره واثباتاً لصدق الوحي وعلم الله بهذه الأحداث، فالشهادة تعني: العلم والحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو البصيرة²، فنفي عنه كل ذلك بقوله (وماكنت من الشاهدين)، فناسب المقال المقام.

11- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ

يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلًا تَسْمَعُونَ﴾ [سورة القصص:71].

المعنى الإجمالي: بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن وحدانية الله وتقرده بالألوهية؛ جاءت هذه الآية تعرض أدلة ألوهية الله وحده بذكر آيات كونية، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلًا تَسْمَعُونَ﴾ [سورة القصص:71]، أي قل يا أيها النبي لهؤلاء المشركين إن جعل الله عليكم الليل دائماً لا نهار له يتبعه إلى يوم القيامة؛ فمن غير الله يأتيكم بالنهار

¹ أنظر، المصدر السابق، ج5، ص2698.

² الفيروز آبادي، مجد الدين، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ-1996م، ج3، ص350.

يضيء عليكم، فتطلبون المعيشة، فتبصرون ما تحتاجونه فأنكر عليهم عدم سماع ما يقال لهم بتدبر وتفكر؛ وهم يعلمون أن الله هو الذي يأتي بالليل ويزيل النهار إذا شاء ولا يقدر على ذلك سواه¹.

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية: ذكرت هذه الآية دليلاً على وحدانية الله، وكان هذا الدليل واضحاً قريباً، نراه كل يوم دون أن نفكر فيه، وهو تعاقب الليل والنهار، ولو جعل الله الليل دائماً من غير نهار لكانت الحياة مستحيلة، ولسئمت النفوس الليل، وأضر بهم ذلك، فمن يأتيهم بضيء النهار غيره سبحانه؟! ثم استكرت عليهم بعد ذلك كيف لا يسمعون، فقال تعالى: (أفلا تسمعون) والسماع هنا سماع تدبر وتفكر، أي أفلا ترعون ذلك سمعكم فتتفكرون فيه؟² ولما ذكر الليل ناسب أن يذكر معه السمع وذلك أن الليل وقت هدوء، وسلطان السمع يكون في الليل³.

12- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ

يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُوتَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٦﴾ [سورة القصص: 72].

المعنى الإجمالي: هنا جاءت الآيات بدليل آخر على وحدانية الله وقدرته، وهو دليل مقابل للأول في الآية السابقة، فالنهار لو جعله الله عليكم سرمداً متصلاً، من غير ليل يعقبه، لتعبت الأبدان، وحصل الملل، فمن غير الله يأتيكم بالليل تستقرون فيه؟! وكيف لا تبصرون هذه الحقيقة؟⁴

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية: ذكر الله آيتين ودليلين متتابعين على وحدانيته، وبدأ بالليل؛ لأن دوام الليل أصعب واشق، ثم أعقب الآية في الليل بالسمع كما تقدم، أما هنا فقال: (أفلا تبصرون) لأن هذه اللفظة تناسب النهار فحاسة البصر وقوتها تكون في النهار، ويضعف فيه سلطان السمع، على عكس الليل الذي

¹ انظر، ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ج6، ص251. انظر، الشوكاني، "فتح القدير"، ج4، ص213.

² انظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص612. انظر، الزحيلي، "التفسير المنير"، ج20، ص154.

³ انظر، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، ت: 751هـ، "مفتاح دار السعادة ومنتشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية - بيروت، د. ت، ج1، ص208.

⁴ انظر الزحيلي، "التفسير المنير"، ج20، ص154.

يكون فيه سلطان السمع¹. وفي ذلك حثٌ للتدبر والتأمل بما يسمعون ويبصرون للانتفاع بذلك وإلا نزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر².

13- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ [سورة القصص: 73].

المعنى الإجمالي: بعد أن ذكرت الآيات السابقة قدرة الله على جعل الليل سرمداً من غير نهار، وجعل النهار مستمراً من دون ليل، بيّنت هذه الآية فضله سبحانه في أن جعلهما متعاقبين، فجعل الليل للسكن والراحة: (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) وجعل النهار للعمل والمعيشة وابتغاء الرزق: (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)، وهذا من نعم الله العظيمة التي تستحق الشكر له³.

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية: ذكر الله في الآية الأولى ضرر استمرار الليل، وفي الآية التي بعدها ضرر استمرار النهار، ثم بعد ذلك جاءت هذه الآية تذكرهم بفضل الله أن جعل لهم الليل والنهار متعاقبين، وذكرت الحكمة من ذلك وفوائده، وأنها من عظيم نعم الله التي تستوجب الشكر، فناسب ذكر النعم استحقاق الشكر⁴. هكذا هي فواصل الآيات تستوجب مراعاة السياق، فالكلمات في نهاية الآيات قد أفصح السياق عن بلاغتها، والحكمة من وضع الكلمة في مكانها دون غيرها، وهذا وجه من وجوه الإعجاز البلاغي لهذا الكتاب العظيم، الذي يكشف لنا عن ترابط سياقه وانسجامه بطريقة لا يستطيعها بشر.

¹ أنظر، ابن القيم، "مفتاح دار السعادة"، ج1، ص208. انظر، السعدي، "تفسير السعدي"، ج1، ص623.

² أنظر، الزحيلي، التفسير المنير، ج20، ص155.

³ أنظر المراغي، "تفسير المراغي"، ج20، ص89.

⁴ أنظر، الالوسي، "روح المعاني"، ج10، ص315.

المبحث السادس: أثر السياق في الألفاظ والمعاني من خلال سورة القصص

إن سورة القصص من السور المكية المميزة في عرض قصة موسى عليه السلام، فقد عرضت القصة بطريقة مفصلة أكثر من غيرها من السور، وذكرت تفاصيل لم تذكرها غيرها من السور، وقد تسلسلت هذه السورة في عرض موضوعات أخرى بطريقة في غاية من الروعة والتناسق والترابط والتآلف فيما بين موضوعاتها، ومن الأمور التي تلفت نظر المتأمل في اختيار ألفاظ السورة وتراكيبها؛ بما يتناسب مع سياقها وجوها العام، وهذا في القرآن كله، فكل لفظة في السورة ناسبت المقام الذي وضعت فيه، ولو أن كلمة أخرى استبدلت بها لما أدت الغرض بتلك الصورة الدقيقة، فكل لفظة وتركيب رسم صورة ذهنية واضحة كأنها مشاهدة للعيان، فالصيغ التي استعملت في سورة القصص تجعلها من الروعة بمكان، مما يظهر أوجه الإعجاز في التعبير القرآني، وهذه الألفاظ تحمل دلالات معنوية متعددة، والسياق القرآني كان له الدور البارز في تحديد المعنى المراد والمناسب، والمتأمل في سياق السورة يجد ذلك جلياً، وفي هذا المبحث سيتم عرض بعض الأمثلة التطبيقية من سورة القصص يظهر من خلالها أثر السياق في اختيار الألفاظ، وأثره في الترجيح بين المعاني.

المطلب الأول: أثر السياق في اختيار الألفاظ في سورة القصص:

عند التأمل والتدبر في آيات القصص نرى مدى الدقة في اختيار ألفاظها بما يتناسب مع سياقها، وقد ظهر ذلك جلياً عند الحديث عن المتشابه اللفظي وفواصل الآيات، وستكون هنا بعض الأمثلة في سياق السورة من غير ذلك، لتكتمل الصورة:

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ

وَيَسْتَحِيهِمْ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ [سورة القصص:4].

في الآية استخدام لفظ (علا)، والمتأمل في اختيار اللفظ (علا) لوصف فرعون، يجعله يتساءل لماذا هذه اللفظة دون غيرها؟ لماذا لم يقل طغى أو بغي أو تكبر بدلاً منها؟ وعند رجوعك إلى اللغة تجد أن علا قد

اشتملت على كل أنواع البغي والتكبر والطغيان، فالعلو من الارتفاع، ويعني العظمة والتجبر، نقول (على واستعلى) لمن قهر أمراً واستعلى عليه، يقال (علا) مَلِكٌ في الأرض، أي طغى وتجبر¹، فهي أبلغ في وصف العلو الذي وصل إليه فرعون، فقد استعلى على رعيته ووزرائه، وعلى الخاصة من رعيته، إلى أن وصل به الحد أن يستعلي على الله، فقد ادعى الألوهية، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص: 38]، وهذا منتهى التجبر والتكبر والطغيان²، وهذا متناسب مع سياق الآيات، فقد تحدثت الآيات عن تجبر فرعون وفساده، وما فعله في الأرض، وخاصة مع بني إسرائيل.

2- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [سورة القصص: 4].

استخدام لفظ (شيعاً)، وعند تأمل سياق الآيات ندرك سر التعبير بلفظة (شيعاً) فلم يقل مثلاً (فرقاً)، فسياق الآيات في معرض الحديث عن شدة الإفساد والعلو الذي بلغه فرعون، فقد جعل أهل مصر شيعاً متفرقين وأغرى بينهم العداوة، كل فرقة تعادي الأخرى ليضرب بعضهم ببعضهم، ويشيعهم إليه فيطيعونه على ما يريد، لا يملك أحد مخالفته³.

بلاغة استخدام هذه اللفظة: معنى شيعاً: جمع شيعة، وهي الجماعة التي تشايح غيرها على ما يريد، وتطيعه وتتصره وتكون له تبعاً، ونقول شِيعَةُ الرَّجُلِ، أتباعه وأنصاره، وهذا يدل على ما فعله فرعون، الذي جعل أهل البلاد فرقاً ذات نزعات، كل فرقة تَتَشَيَّعُ إليه وتُعادي الفرقة الأخرى، وجعل منهم المقربين إليه، وأثار بينهم التحاسد والتباغض، لتكون الفرقة المحظوظة عنده متطاولة على الأخرى، واستضعف الطائفة الأخرى من بني إسرائيل، وهذا من شأن الملك الفاسد، وهنا تبرز البلاغة في استخدام هذه اللفظة دون غيرها من الألفاظ،

¹ أنظر، الفراهيدي، "العين"، ج2، ص245. ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ج4، ص112.

² انظر، الشعراوي، "تفسير الشعراوي"، ج17، ص10871.

³ أنظر، الرازي، "التفسير الكبير"، ج24، ص578.

فلم يقل (فرقاً)؛ لأن الفرق تدل على التحزب دون أن تكون هذه الفرقة من شيعته، فهدف فرعون أن يكونوا شيعاً له مطاوعين له، فعبر بلفظة تكشف عن مراد فرعون وتعطي المعنى الدقيق الذي يناسب السياق¹.

3- قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة القصص:7].

عبر بلفظ (إنا رادوه) (وجاعلوه) جملة إسمية دالة على الفعل، تدل على الثبوت والاستمرار، للدلالة على العناية بالبشارتين²، فسياق الآية: يتحدث عن أمر الله لأم موسى، بأن ترضع ابنها، وأن تلقيه في اليم إذا خافت عليه من جنود فرعون، ثم نهاها عن الخوف والحزن، لأن الله سيرده إليها، ويجعله من المرسلين³، هذه الآية شملت أمرين (أرضعيه و ألقيه)، ونهيين (لا تخافي ولا تحزني) وبشارتين (إنا رادوه وجاعلوه من المرسلين)، وقد ناسب لفظ (لا تخافي) ذكر البشارة الأولى في السياق (إنا رادوه)، وهذا يعني نجاته من القتل، وما كان خوفها إلا من قتله، وأما اللفظ الثاني (لا تحزني) فناسب البشارة الثانية (وجاعلوه من المرسلين)، فهذا يستدعي ادخال المسرة على قلبها⁴، فناسبت الألفاظ السياق، ثم تصدير الجملة بحرف التحقيق (إنّا) لتأكيد الاعتناء بتحقيق الوعد⁵، فمقام الخوف يستدعي هذا التأكيد لإدخال الطمأنينة على قلبها وإزالة الشك.

¹ أنظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (شَبَع)، ج3، ص235. أنظر، الفيروز أبادي، "القاموس المحيط"، ج1، ص735. أنظر، ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج20، ص66. أنظر، مطني، "سورة القصص"، ج1، ص121.

² أنظر، الزحيلي، "التفسير المنير"، ج20، ص61.

³ أنظر الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص521.

⁴ أنظر، ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج20، ص75.

⁵ أنظر، ابو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، ت: 982هـ، "تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج7، ص3.

4- قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ

لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ [سورة القصص: 18].

استخدم لفظ (استنصره، يستصرخه)، وسياق الآية: يتحدث عن موسى عليه السلام والقبطي، الذي كان يقتتل مع الاسرائيلي، وهنا عبرت الآية بلفظ (استنصره) يعني طلب نصرته وأما لفظه (يستصرخه)، فإنها تعبر عن حال الرجل، فقد كان حريصاً على إسماع موسى، فكأن موسى كان بعيداً عن موضع العراك والمعنى أنه كان يستغيثه ويصيح به عن بعد¹ عدا عن قوة الجرس لحروف هذه الكلمة في (الصاد والخاء) مما يرسم صورة ذهنية للقارئ، ليتخيل هذا الرجل وهو يستدعي الانتباه من صراخه ليجيء موسى، فقد كان حريصاً على ذلك.²، وهنا لم يكن مظلوماً فلم يعبر عن ذلك بقوله (استغاثه) كما في المرة الأولى في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ فاستغاثه فيها دلالة على أن الاسرائيلي كان مغلوباً، والقبطي كان ظالماً له³.

5- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي

لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ [سورة القصص: 20].

عبر بقوله (جاء) ولم يقل (أتى)، وهذا بعد أن شاع خبر قتل موسى القبطي، فقد رفع أعوان فرعون وبطانته الأمر إلى فرعون وتشاوروا في أمر قتله، فأسرع رجل مؤمن يكتف إيمانه لينصح موسى عليه السلام بالهرب، فاستجاب موسى لذلك⁴.

¹ انظر، السمعاني، أبو المظفر، "تفسير القرآن"، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، : دار الوطن، الرياض -السعودية، ط1، 1418هـ-1997م، ج4، ص129.

² انظر، مطني، "سورة القصص"، ص124.

³ انظر، ابن عاشور، "التحرير والتوير"، ج20، ص89.

⁴ انظر، المراغي، "تفسير المراغي"، ج20، ص48.

أنظر هنا إلى بلاغة لفظة (الملاً) ولم يقل (القوم)، فالملاً أعم من القوم، وهم أشرف القوم وسادتهم، فهم من يأتّم ويتشاور، وقال: (يأتّمون) ولم يقل (يتشاورون)، وذلك أن القوم في تشاورهم يأمر بعضهم بعضاً ويأتّم¹، أما لفظة، (جاء) دون (أتى)، فإن المجيء يكون لما فيه صعوبة ومشقة، وهذا أسلوب القرآن في استخدام هذه اللفظة، وقد تمّت الإشارة إلى ذلك في موضوع المتشابه اللفظي، وهنا ناسب هذا اللفظ الموضع الذي وضع فيه، فقد جاء هذا الرجل من مكان بعيد، وكان مؤمناً يكتّم إيمانه، وفي نصيحته لموسى خطر عليه بأن يشي أحد به إلى فرعون، وما جاء به كان أمراً صعباً، فالملاً يأتّمون بموسى ليقتلوه، والرجل ينصحه بالخروج من بلده، فناسب هذا اللفظ (الثقل في الموقف) السياق.

أما التعبير بالجملة الاسمية الدالة على الفعلية في قوله (إنا رادوه) (وجاعلوه)، للدلالة على الثبوت والاستمرار، للدلالة على العناية بالبشارتين.² وفي ذلك إشارة ألى أن هناك رداً آخر، وهذا ما أشار إليه السياق، فقد رد الله موسى إلى أمه عندما حرّم عليه المراضع، فكانت هي مرضعته، ومن ثم رده من مدين، بعد أن ذهب إليها لقتله القبطي، وهذه المرة تتحق البشارة الثانية كونه من المرسلين، فكانت العناية بالبشارة مستمرة.

6- قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الفصص: 27].

قال حجج، ولم يقل سنوات أو أعوام، والآيات تتحدث عن الرجل الصالح في مدين الذي سقى موسى عليه السلام لابنتيه، فقد أراد أن يُرَوِّج موسى عليه السلام إحدى ابنتيه على أن يثيبه من تزويجها بأن يرعى الغنم له ثمانى حجج³، وعبر عن تلك المدة المعروفة بالحجج ولم يقل سنوات أو أعوام، وكلها بمعنى واحد غير

¹ انظر، الزحيلي، "التفسير المنير"، ج20، ص73.

² انظر، الزحيلي، "التفسير المنير"، ج20، ص61.

³ انظر الطبري، "جامع البيان"، 19، ص565.

أن كل لفظة تحمل معنى زائداً عن الآخر، فلو رجعنا إلى استخدام القرآن لفظ (السنة) لوجدناه يستخدمه في سياق الذم أما (العام) ففي سياق الخير والرجد، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:14]، فقد قال (سنة) ذمّاً لأيام الكفر في زمن دعوته لهم، وبعد إغراقهم عمّ الأمن والسلام والإيمان وخصبت الأرض فقال (عاماً)، إشارة إلى الرجد الذي حصل في تلك الفترة بعد إهلاك الكفار¹، أما لفظ (الحجج) فهو من الحج، والحج يكون مرة واحدة في السنة² في الوقت المعهود ومن هنا أطلقوا على السنوات الحجج، والحجُّ هو قصد الزيارة لبيت الله الحرام، دون المكوث واستخدام اللفظ هنا ناسب السياق، فموسى إنما ذهب إلى مدين فاراً من مصر، فهو ليس من أهلها، فهو زائر، ولا بد أن يعود إلى بلده، وهذا ما حصل وبنيّنه السياق فيما بعد³.

7- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا

فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة القصص:36].

عبر بقوله: (سحر مفترى) ولم يقل (مبين)، وسياق الآيات بيّن موقف فرعون وملئه من الأدلة التي جاء بها موسى عليه السلام من عند الله؛ فقد قالوا له: هذا سحرٌ افتريته، ما سمعنا به، فما تدعوننا لعبادته لم نسمع به في أسلافنا⁴، ولما ذكرت الآية أنهم لم يسمعوا بمقالة موسى عليه السلام من قبل؛ اقتضى ذلك أن يكون كلامه كذباً وافتراءً عندهم، فلم نقل الآية (سحرٌ مبين) وإنما قالت: (سحر مفترى)⁵.

¹ انظر، البقاعي، نظم الدرر، ج14، ص404.

² أنظر، ابن فارس، "مقاييس اللغة" باب (حج)، ج2، ص31.

³ أنظر، السامرائي، فاضل، "من أسرار البيان القرآني"، دار الفكر، ط1، 1430هـ-2009م، ص57-59.

⁴ أنظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص579.

⁵ أنظر، السامرائي، "من أسرار البيان"، ص237.

8- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ ءِتَهُ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة القصص: 52-53].

التعبير القرآني في قوله (آتيناهم) أسند الله الكتاب فيه إلى نفسه، ولم يقل: (أوتوا الكتاب).

سياق الآية: تتحدث الآية عن بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ممن كانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل

من قبل، ثم أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم، فأمنوا به، فاتاهم الله أجرهم مرتين، قال تعالى في الآية

التالية: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة القصص: 54]¹، فالمقام هنا مقام مدح، وعند استقراء أساليب

القرآن فإن الله يسند الكتاب إلى نفسه في سياق المدح، بينما يقول في مقام الذم والتقريع (الذين أوتوا الكتاب)،

ومن الشواهد على ذلك، في مقام المدح: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة البقرة: 121]،

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الأنعام: 20]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الرعد: 36]، أما في مقام الذم: فيقول الله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴿١١﴾﴾ [سورة البقرة: 101]، وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴿١٩﴾﴾ [سورة آل عمران: 19]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة آل عمران: 100].

فناسب في سورة القصص أن ينسب الكتاب إلى نفسه لأن سياق الآية في مقام المدح².

¹ أنظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص596.

² أنظر، السامرائي، "أسرار البيان في التعبير القرآني"، باب قصة موسى عليه السلام في البقرة والاعراف، (الكتاب غير مرقم).

وفي نهاية هذا المطلب أشير إلى أن ما عُرض هنا إنما هو غيض من فيض يظهر مدى الإعجاز البلاغي في وضع الألفاظ بما يعطي المعنى الدقيق المناسب للسياق، ويعطي الصور الذهنية الدقيقة للمشاهد؛ بطريقة لا يستطيعها بشر، وما هذا إلا دليل على صدق هذا الكتاب المبين وأنه وحي من رب عظيم.

المطلب الثاني: الترجيح بين المعاني

يعد السياق من أهم القرائن التي يعتمدها المفسرون في الترجيح بين دلالة الألفاظ والنصوص، فالألفاظ والنصوص في القرآن حمالة أوجه، وقد نرى أقوالاً مختلفة في تفسير معنى واحد، فلم يكن بدّ من مراعاة التسلسل في سياق النص، ليكون ذلك قرينة ترجيح مؤيدة بالدليل فربط المعاني بسياقها، يقود إلى الوصول إلى الدلالة الصحيحة للألفاظ في الآيات، وسأذكر في هذا المطلب بعض الأمثلة التطبيقية من سورة القصص لتتضح أهمية السياق في الترجيح بين المعاني:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿طَسَّرَ ۝١﴾ [سورة القصص: 1].

ابتدأت سورة القصص ب (طسم) وهي متشابهة مع افتتاحية سورة الشعراء، وكذلك النمل باختلاف يسير فالنمل افتتحت (طس)، وبمثل هذه الحروف افتتحت بعض سور القرآن، في تسع وعشرين سورة، مجموعها من غير تكرار أربعة عشر حرفاً، مجموعة في جملة (نص حكيم قاطع له سر)¹، وقد ذكر العلماء عدة أقوال في معاني هذه الحروف مجملة على النحو التالي:

الرأي الأول: إن هذه الحروف من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه².

الرأي الثاني: بأنها وردت لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق رسالته، وذلك بأنه ينطق بأسماء هذه الحروف، مع أنه أمي، فالنطق بأسامي وأصول القراءة خاص بمن قرأ وكتب، فكان هذا دليل على أن هذا القرآن من عند الله منزل عليه وليس من تلقاء نفسه³.

¹ أنظر، الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ج1، ص167

² أنظر، ابو حيان، "البحر المحيط"، ج1، ص60.

³ أنظر، الزمخشري، "الكشاف"، ج1، ص28.

الرأي الثالث: إن هذه الحروف أسماء للسور¹.

الرأي الرابع: أنها للقسم، أقسم الله بها على أن هذا القرآن لا شك فيه، للدلالة على قدر هذه الحروف².

الرأي الخامس: إنها من أسماء الله الحسنی³.

الرأي السادس: بأن هذه الحروف جاءت للدلالة على أن السورة السابقة قد انقضت، لاستئناف كلام آخر بسورة جديدة، فهو شعار للسورة⁴.

الرأي السابع: أنها للتنبيه إلى إعجاز القرآن.

الرأي الأخير هو الراجح، فقد افتتحت السور بهذه الحروف للتقريع والتنبيه، إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس الحروف التي يعرفها العرب، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله⁵، وقد رجح ذلك السياق؛ أنظر لقوله تعالى: ﴿طَسَّرَ ۙ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾ [سورة القصص: 1-2]، فبعد أن ذكر الحروف المقطعة، أشار إلى ذلك الكتاب، وكأنه يقول هذا الكتاب ما هو إلا من حروفكم التي عهدتموها، ومع ذلك لم تستطيعوا الإتيان بمثله وهذا دلالة على إعجازه، وهذا في سياق السور التي افتتحت بها الحروف، ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿الْم ۙ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝﴾ [سورة البقرة: 1-2]. وقوله: ﴿الْم ۙ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝﴾ [آل عمران: 1-3]، يقول الرازي: "ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة"⁶.

¹ أنظر، المصدر السابق، ج1، ص211.

² أنظر، الأخفش، أبو الحسن، ت:215هـ، "معاني القرآن للأخفش"، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ-1990م، ج1، ص21.

³ أنظر المصدر السابق، ص155.

⁴ أنظر، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، ت:209هـ، "مجاز القرآن"، تحقيق: محمد فواد سرگین، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1381هـ، ج1، ص28.

⁵ أنظر، الباقلائي، "اعجاز القرآن"، ج1، ص71. وانظر أيضاً، قطب، "في ظلال القرآن"، ج1، ص38.

⁶ الرازي، "تفسير الرازي"، ج1، ص160.

2- قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ [سورة القصص: 10].

اختلف المفسرون في توجيه المعنى في لفظة (فارغاً)¹ على النحو التالي:

- التوجيه الأول: (أصبح فؤاد أم موسى فارغاً)، أي أصبح فارغاً من كل شيء، ومن كل هم إلا من موسى وذكره.

- التوجيه الثاني: فارغاً من الوحي الذي أوحاه الله لها في قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ

وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [سورة القصص: 7]، فأصبح فارغاً من العهد والوعد الذي وعدها الله برده إليها،

بسبب عظيم البلاء الذي حل بها عندما علمت بوقوع موسى عليه السلام بين يدي فرعون.

- التوجيه الثالث: فارغاً من الحزن لأنها علمت أنه لم يغرق.

الرأي الراجح: التوجيه الأول هو الأرجح بين هذه التوجيهات؛ لدلالة السياق عليه، فقد قال الله تعالى: ﴿إِن

كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾، فقد ثبتت الله قلبها على العهد الذي عهد إليها في الآية

السابقة من سورة القصص ولم يكن قلبها فارغاً من الخوف والحزن لأن موسى ليس بين يديها وهي أمه.

3- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ [سورة القصص: 85].

اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [سورة القصص: 85]

¹ انظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص526. البغوي، "تفسير البغوي" ج3، ص524. القرطبي، "تفسير القرطبي"، ج9، ص378. ابن كتي "تفسير ابن كثير"، ج5، ص285. الشوكاني، "فتح القدير"، ج4، ص185.

التوجيه الأول: أي رادك إلى مكة فهي بلده ومولده، فكما أُخرج منها سعيده الله إليها فاتحاً ظاهراً على أعدائه، فالمعاد هنا من العود، أي ستعود إلى مكة التي أخرجت منها، فاتحاً منتصراً¹.

التوجيه الثاني: لرادك إلى الجنة بعد الموت²، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دخل الجنة من قبل في ليلة الاسراء والمعراج فيكون رجوعه إليه معاداً لأنه دخلها من قبل، أو أن الجنة، قد كان فيها آدم عليه السلام فهي معاد لذريته³.

التوجيه الثالث: إن المقصود بالمعاد الموت وقيل يوم القيامة، لأن الناس في ذلك اليوم يرجعون أحياء⁴.

الراجع: إن المقصود في المعاد هو رجوعه عليه السلام إلى بلده مكة، وما يدل على ذلك سياق الآيات فقد وردت الآيات متسلسلة في عرض الأحداث في السورة حيث ذكرت قصة موسى عليه السلام من مولده وخروجه من بلده إلى أن رجع إليها، وجاء ذلك في معرض التسلية لقلب النبي لعرض ذلك التشابه بينه وبين نبي الله موسى عليه السلام فكما رجع موسى إلى بلده ستعود أنت أيضاً يا محمد، وهذا ما تحقق في فتح مكة سنة 8هـ، وفي رواية البخاري "حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا يعلى، حدثنا سفيان العصفري، عن عكرمة، عن ابن عباس، ﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [سورة القصص: 85] قال: «إلى مكة»⁵.

¹ أنظر، مقاتل، ابو الحسن، ت: 150هـ، "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط1، 1423هـ، ج3، ص359. الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص641. البغوي، "تفسير البغوي"، ج3، ص548.

² أنظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص639. الزمخشري، "الكشاف"، ج3، ص436. ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ج4، ص303.

³ أنظر، الطبري، "جامع البيان"، ج19، ص642. ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ج4، ص303.

⁴ أنظر، القرطبي، "تفسير القرطبي"، ج13، ص321.

⁵ البخاري، صحيح البخاري، باب {لَمْ يَلَمْ لَمْ لَمْ لَمْ} [القصص: 85] الآية، حديث: 4773.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي أعانني على إكمال هذه الدراسة، فإن وفقتم فمن فضل الله وذاك ما أرجوه، وإن قصرت فحسبي أنني بذلت ما في وسعي، فقد اجتهدت، وعزائي أنني في خطواتي الأولى للبحث، وأسأل الله السداد والتوفيق، وأهم النتائج والتوصيات التي خلصت إليها الدراسة:

أهم النتائج:

- 1- يعد السياق القرآني أصلاً معتبراً من أصول التفسير، له أهمية بالغة في تفسير القرآن وتحديد معانيه، وفهم دلالات الألفاظ والتراكيب، وإهماله موطن للزلل والخطأ.
- 2- تعد دلالة السياق القرآني من أهم الطرق للوصول للفهم الصحيح للقرآن وأفضلها.
- 3- يعد السياق من أعظم وجوه الإعجاز الذي يظهر القرآن منظومة واحدة ترتيباً وتماسكاً.
- 4- على المفسر أن يكون على علم بكل ما يتعلق بالسياق من علوم كاللغة وأساليبها، والعلم بالسنة وعلومها، وعلم المناسبات، والنظر في الأحوال التي نزلت فيها السورة، وعليه أن يكون مطلعاً على كتب التفسير؛ للوصول للتفسير الصحيح للآيات.
- 5- إن للسياق علاقة وطيدة بعلوم القرآن الأخرى، وله أثر واضح في توجيهها ومن ذلك:
 - أ. الترجيح بين أسباب النزول.
 - ب. إظهار المناسبة في كلمات القرآن وجمله وآياته ومقاطعته وسوره.
 - ج. توجيه المتشابه اللفظي والكشف عن أسراره، وفهم دقائقه.
 - د. توجيه الفاصلة القرآنية والكشف عن أسرار اختيار الألفاظ في نهاية الآيات وإبراز البلاغة في اختيارها دون غيرها.
 - هـ. الكشف عن أسرار اختيار الألفاظ والتراكيب وبيان دلالتها بحسب سياقها.
 - و. الترجيح بين أقوال المفسرين في تفسير المعاني والآيات.

6- من خلال الدراسة التطبيقية لسورة القصص في ضوء السياق القرآني تبين أنّ كل حلقة من حلقات كل قصة وضعت في مكانها المناسب الذي يحقق مقصود تلك السورة والآيات بأسلوب عرضٍ يناسب سياقها، وأن ما يذكر متفرقاً لا اختلاف فيه، ومجموع ما يرد يعطي المعنى العام للقصة، وتبيّن أنّه يوجد لا تكرار محضٍ في القصص، ففي كل خطابٍ فائدة وحكمة تعرض بأسلوبٍ مختلفٍ يناسب السياق.

التوصيات:

توصي الدراسة بمزيد من الدراسات ذات العلاقة بالسياق لسور القرآن؛ لما فيها من فائدة عظيمة تخدم كتاب الله وتعين على فهمه.

هذا وأسأل الله العظيم أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب غمنا، وصلّ اللهم على نبيك وحبّيك وصفيك أشرف الأنبياء والمرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

إبن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن، ت: 327هـ، "تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم"، تحقيق: أسعد

محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.

إبن الاثير، ضياء الدين، ت: 637هـ، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، المحقق: أحمد الحوفي،

بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.

الأخفش، أبو الحسن، ت: 215هـ، "معاني القرآن للأخفش"، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي،

القاهرة، ط1، 1411هـ-1990م.

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن، ت: 321هـ، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم

للملايين - بيروت، ط1، 1987م.

الاسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: 420هـ، "درة التنزيل وغرة التأويل"، تحقيق: محمد مصطفى

أيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها 30 معهد البحوث

العلمية مكة المكرمة، ط1، 1422هـ-2001.

الاسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: 420هـ، "درة التنزيل وغرة التأويل"، تحقيق: محمد مصطفى

أيدين، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط1، 1422هـ-2001م.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين، ت 502هـ، "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق: صفوان عدنان الداودي،

دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ.

الأفغاني، جمال الدين، "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، ت: 597هـ، تحقيق: محمد عبد

الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، ط1، 1404هـ-1984م.

الألوسي، شهاب الدين محمود، ت: 1270هـ، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ.

باحويرث، تهاني بنت سالم، "أثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني" دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، رسالة ماجستير، 1428هـ-2007م، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين.

الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن، ت: 403هـ "الانتصار للقرآن"-تحقيق محمد بن مفلح، دار الفتح -عمان، دارين حزم -بيروت، 1422هـ 2001م.

الباقلاني، أبو بكر، "إعجاز القرآن"، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف -مصر، ط5، 1997م.

البضاوي، ناصر الدين أبو سعيد، ت: 685هـ، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط1، 1418هـ.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ت: 510هـ، "معالم التنزيل في تفسير القرآن =تفسير البغوي" حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ-1997م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، ت: 885هـ، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، "مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ"، مكتبة المعارف -الرياض، ط1 1408هـ-1987م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، ت: 885هـ، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

البليسي، أبو العباس، ت: 830هـ، "نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد"، وتحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية، ط1، 1429هـ-2008م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ت 728هـ: "مجموع الفتاوى"، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، ت: 728هـ، "مقدمة في أصول التفسير" دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1490هـ-1980م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، "الفتاوى الكبرى لابن تيمية"، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ-1987م.
الثعلبي، أحمد بن محمد، ت: 427هـ، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ-2002م.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت: 471هـ، "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ-1992م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، ت816هـ، "التعريفات"، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

ابن جماعة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم، ت: 733هـ، "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، تحقيق: عبد الجواد خلف، دار الوفاء - المنصورة، ط1، 1410هـ-1990م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت: 597هـ، "زاد المسير في علم التفسير"، تحقيق: عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422هـ.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، ت: 597هـ، "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، ت: 393هـ، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي، ت: 852هـ، "تهذيب التهذيب"، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.

ابن حجر، أحمد بن علي، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، ج9. الحربي، حسين علي، "قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية"، دار القاسم - الرياض، ط1417 - 1996م.

ابو حيان، محمد بن يوسف، ت: 745هـ، "البحر المحيط في التفسير"، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420هـ.

خضير، علي حميد، "دلالة السياق في النص القرآني"، رسالة ماجستير - كلية الآداب - الأكاديمية العربية في الدنمارك 1435هـ - 2014م.

الخطيب الشربيني، شمس الدين، "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير"، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، 1285هـ.

ابن الخطيب، عبد الكريم يونس، ت: بعد 1390هـ، "التفسير القرآني للقرآن"، دار الفكر العربي - القاهرة. الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، ت: 1402هـ، "أوضح التفسير"، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383هـ - 1964م.

خلة، محمود عبد الخالق، "سورة القصص دراسة تحليلية وموضوعية" رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية،
2002م-1423هـ.

دراز، محمد بن عبد الله، ت: 1377هـ، "النبأ العظيم"، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 1426هـ-2005م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، ت: 321هـ، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم
للملايين - بيروت، ط، 1987م.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، ت: 606هـ، "مفاتيح الغيب - التفسير الكبير"، دار إحياء
التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله، ت: 666هـ، "مختار الصحاح" لمحقق: يوسف الشيخ محمد"، المكتبة العصرية
-الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ-1999م.

الراغب، أبو القاسم الحسين، ت: 502هـ، "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار
القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ.

الرافعي، ت: 1356هـ، "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، دار الكتاب العربي - بيروت، ط8، 1425هـ-
2005م.

رضا، محمد رشيد، ت: 1354هـ "تفسير المنار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

الرماني، ابي الحسن على بن عيسى، ت: 994هـ، "النكت في اعجاز القرآن"، مكتبة الجامعة الملوية الإسلامية
-دلهي، 1934م.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ت: 1205هـ، "تاج العروس"، دار الهداية.

الزرقاني، محمد عبد العظيم، ت: 1367هـ، "مناهل العرفان"، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3،
1362هـ-1943م.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، ت: 794هـ، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد
أبو الفضل إبراهيم، ط:1، 1376هـ-1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي
وشركائه.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، ت: 1392هـ، "البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط1،
1414هـ-1994م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، ت: 538هـ، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، دار الكتاب
العربي - بيروت، ط3، 1407هـ.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، ت: 538هـ، "اساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل عيون السود،
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.

الزيلي، جمال الدين أبو محمد، ت: 762هـ، "تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف
للزمخشري"، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ط1، 1414هـ.

السامرائي، فاضل بن صالح، "لمسات بيانية في نصوص التنزيل"، دار عمار للنشر والتوزيع عمان
- الاردن، ط3، 1423هـ-2003م.

السامرائي، فاضل، "من أسرار البيان القرآني"، دار الفكر، ط1، 1430هـ-2009م.

السامرائي، "أسرار البيان في التعبير القرآني"، باب قصة موسى عليه السلام في البقرة والاعراف، (الكتاب
غير مرقم).

السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، ت: 643هـ، "جمال القراء وكمال الإقراء"، تحقيق: مروان العطيّة - محسن خراية، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، ط1، 1418هـ-1997م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت: 1376هـ، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

ابو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، ت: 982هـ، "تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد، ت: 375هـ، "بحر العلوم" تحقيق: الشيخ علي معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.

السمعاني، أبو المظفر، ت: 489هـ، "تفسير القرآن"، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط1، 1418هـ-1997م.

الزجاج، إبراهيم بن السري، ت: 311هـ، "معاني القرآن وإعرابه"، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، 1418هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: 911هـ، "الاتقان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: 911هـ، "معترك الأقران في إعجاز القرآن"، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1، 1408هـ-1988م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"، قرأه وتممه: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ط1، 1426هـ.

السيوطي، جلال الدين، "أسباب ترتيب القرآن"، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - القاهرة، 2002م.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، ت: 790هـ، "الموافقات"، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ-1997م.

الشتيوي، فهد، "دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام" رسالة ماجستير - كلية الدعوة - جامعة أم القرى، السعودية، 1426هـ، 2005م.

الشعراوي، محمد متولي، ت: 1418هـ، "تفسير الشعراوي"، مطابع أخبار اليوم، 1997م، ج2.

الشنقيطي، حمد الأمين بن محمد المختار الجكني، ت: 1393هـ، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، دار عطاءات العلم الرياض - دار ابن حزم بيروت، ط5، 1441هـ-2019م، الأولى لدار ابن حزم.

الشهراني، سعد بن محمد، "السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة"، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، ط1، 1436هـ.

الشوكاني، محمد بن علي، ت: 1250، "فتح القدير"، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

ابو صفية، عبد الوهاب، "دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن"، دار عمار للنشر - عمان، ط1، 1409هـ.

الطباطبائي، محمد حسين، ت: 1402هـ، "القران في الاسلام"، تعريب أحمد الحسيني، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1393هـ-1973م.

الطبرسي، الفضل بن الحسن، ت:548هـ، "مجمع البيان في تفسير القرآن" تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي
وفضل الله الطباطبائي اليزدي. شركة المعارف الإسلامية. إيران. ط1. 1379هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ت 310هـ، "جامع البيان عن تأويل آيات القرآن" تفسير الطبري، تحقيق
أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

الطبري، محمد بن جرير، "تاريخ الطبري"، دار التراث - بيروت، ط2، 1387 هـ.

الطرابلسي، محمد بن محمد، ت 1177، "الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع"، تحقيق د. مُحَمَّد
محمود أحمد بكاء. الطبعة الأولى. مكتبة الطالب الجامعي. الريان. مكة المكرمة. 1408 هـ

الطلحي، ردة الله، "دلالة السياق"، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، ت: 1393هـ، "التحرير والتنوير" «تحرير المعنى
السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، دار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ.

عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري "السياق القرآني وأثره في التفسير"، دراسة نظرية وتطبيقية على
تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، 1429 - 2008.

عبد السلام، عز الدين بن عبد العزيز، ت: 660هـ، "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز"، المكتبة
العلمية، بالمدينة المنورة، 1869م.

عبد اللطيف، محمد حماسة، "النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"، دار الشروق، ط1،
1420هـ-2000م.

ابو عبيدة، معمر بن المثنى، ت:209هـ، "مجاز القرآن"، تحقيق: محمد فواد سرگين، مكتبة الخانجي
-القاهرة، 1381هـ.

العثيمين، محمد بن صالح، ت: 1421هـ، "تفسير الفاتحة والبقرة"، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، ت: 542هـ، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ.

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد، ت: 444هـ، "البيان في عد أي القرآن"، محقق غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت، 1414هـ - 1994م، ط1.

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد، "التيسير في القراءات السبع"، تحقيق: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط2، 1404هـ - 1984م.

الغيساوي، يوسف خلف، "أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية"، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1423هـ.

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ت: 708هـ، "البرهان في تناسب سور القرآن"، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1410هـ - 1990م.

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، ت: 708هـ، "ملاك التأويل القاطع بزوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل"، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ت.

ابن فارس، أحمد، ت: 395هـ، "معجم مقاييس اللغة" تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

فراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، ت: 207هـ، "معاني القرآن"، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط1.

الفراهي، حميد الدين عبد الحميد، ت: 1349هـ، "دلائل النظام"، المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت: 170هـ، "العين"، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفيروز أبادي، مجد الدين، ت: 817هـ، "القاموس المحيط"، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 1426هـ-2005م، ج1.

الفيروزآبادي، مجد الدين، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ-1996م.

القاسم، عبد الحكيم بن عبدالله، "دلالة السياق القرآني واثرها في التفسير"، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، رسالة ماجستير، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1999م-1420هـ.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت: 276هـ، "تأويل مشكل القرآن"، المحقق: إبراهيم شمس الدين: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2007م-1428هـ.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت: 671هـ، "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ-1964م.

القطان، مناع خليل، ت: 1420هـ، "مباحث في علوم القرآن"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ-2000م.

قطب، سيد، ت: 1385هـ، "في ظلال القرآن"، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط17، 1412هـ.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت: 751هـ، "بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت: 751هـ، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ت: 751هـ، "التبيان في أقسام القرآن"، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، ت: 751هـ، "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت.

ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل، ت: 774هـ، "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م.

الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، ت: 505هـ، "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، د.ت.

المراغي، أحمد بن مصطفى، "تفسير المراغي"، ت: 1371هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ-1946م.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، ت: 333هـ، "تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة"، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م.

مسلم، مصطفى محمد، "مباحث في التفسير الموضوعي"، دار القلم، ط4، 1426هـ-2005.

مطني، محمد، "سورة القصص دراسة تحليلية"، تحقيق: محمد صالح عطية، ديوان الوقف السني، 2012-1433هـ.

مقاتل، ابو الحسن، ت: 150هـ، "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، : دار إحياء التراث - بيروت، ط1، 1423هـ.

ابو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، ت 370هـ، "تهذيب اللغة"، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط:1، 2001م.

ابن منظور، جمال الدين، ت:711هـ، "لسان العرب"، دار صادر - بيروت، ط3.

ابو ناجى، يونس يوسف. 2016. "المتشابه اللغوي عند القراء والمفسرين: تأليفا وتطبيقا". مجلة التربوي، ع9، 232-257 مسترجع من. <http://search.mandumah.com/Record/7>

النحاس، أبو جعفر، ت:338هـ، "معاني القرآن"، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط1، 1409.

الهروي، علي بن سلطان محمد، ت:1014هـ، "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ، 2002م.

الهوي، أحمد بن عبد الرحيم، ت: 1176هـ، "الفوز الكبير في أصول التفسير"، عزَّبه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة - القاهرة، ط2، 1407هـ-1986م.

الواحدى، أبو الحسن علي بن أحمد، ت: 468هـ، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد" تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، واخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ-1994م.

الواحدى؁ أبو الحسن على بن أحمد؁ ت:468هـ؁ "أسباب نزول القرآن"؁ تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان؁ دار الإصلاح - الدمام؁ ط2؁ 1412هـ-1992م.

أبو يحيى؁ زكريا الأنصاري؁ ت: 926هـ؁ "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"؁ تحقيق: محمد علي الصابوني؁ دار القرآن الكريم؁ بيروت - لبنان؁ 1403هـ-1983م.



An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**THE CONTEXT AND ITS IMPACT ON
INTERPRETATION
(AN APPLIED STUDY IN SURAT AL-QASAS)**

By

Samar Marei Mahmoud Hamad

Supervisor

Dr. Hussein Abdel-Hamid Al-Naqib,

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree
of Master of Fundamentals of Religion (Isul Al-deen), Faculty of Graduate Studies,
An-Najah National University, Nablus- Palestine.**

2023

The context and its impact on interpretation (An applied study in Surat Al-Qasas)

By
Samar Marei Mahmoud Hamad
Supervisor
Dr. Hussein Abdel-Hamid Al-Naqib,

Abstract

This study sheds light on the importance of context in the interpretation of the Qur'an, and the application was on Surat Al-Qasas, and the study aimed to highlight the role of context in reaching the correct meaning of the verses. Evidence of its connection, its interruption, how to reach it, its connection to the causes of revelation and the science of appropriateness, verbal similitude, and its impact on the words and the Qur'anic structures. Its relationship to the causes of revelation and its impact on guiding the verbal analogy by presenting some similar verses in the surah with other surahs to highlight the appropriate role in directing this analogy, and its role in directing the Qur'anic comma by presenting some commas in the verses of the surah and linking them to the context, and highlighting the role of the context in the choice of words Weighting between meanings by presenting some examples that illustrate this. The study concluded that the context has a close relationship with the other sciences of the Qur'an and has a clear impact on Directing it, and that each of the episodes in Surat Al-Qasas and each story is placed in its appropriate place Which achieves the purpose of that surah in a presentation style that fits its context, and that what is mentioned is dispersed, there is no difference In it, and the sum of what is mentioned gives the general meaning of the story, and it has been shown that there is no pure repetition in the stories. In each discourse, there is benefit and wisdom presented in a different manner that suits the context.

Keywords: Context, Surat Al-Qasas, The Quranic comma, Synonymous occasions